المشرق

السنة الواحدة والخمسون — آذار – نيسان ١٩٥٧

حقيقة

اخوان الصفاء وخلأن الوفاء

بقلم عارف تامر

جماعة « اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » لغز مبهم في التاريخ الاسلامي صعب حلّه، وسرٌ من اسرار العقائد الباطنية الفلسفية تعسَّر فهمه ، وكنز مقفل لم يتسنَّ للعلماء والباحثين الاهتداء الى نفائسه وجواهره، وموضوع معقَّد تضاربت الاقوال فيه، وتشعبت الابحاث حوله، فاصبح مثاراً للجدل والتخمين، وسبباً للتخبط بين الضلالة والهدى ، والرشاد والهوى ، والاستنتاج العقلي الذي قلّما ادّى الى نتيجة تنير السبيل امامه ، او تكشف الستار الكثيف عن الحقيقة المتسترة خلفه . اقول ذلك استدراكاً وتعقيباً على ما قد سبق لي ان كتبته بالامس على صفحات مجلة « العرفان »[1] التي تصدر في مدينة صيداء – لبنان تحت عنوان « حول اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » وفي مجلة (Ismailia News)[2] التي تصدر باللغة الانكليزية

١) العدد ٥ المجلد ٣٤ نيسان ١٩٤٨

٢) Ismailia-news - vol. 1, 1st June nº 9-1954.

في مقاطعة « اوغندا » بأفريقية الشرقية تحت عنوان « من هم اخوان الصفاء وخلان الوفاء ؟ » وقد عرضت بالبحثين الاول والثاني الى هؤلاء الفلاسفة — «المتسترين» الذين رغبوا بإخفاء اسمائهم عن الناس زهداً في الشهرة وحرصاً على حياتهم المهددة من الامراء الحاكمين في ذلك العصر المضطرب، ومبالغةً في كتمان غاية رغبوا في ان لا يصل الطالب الى معرفتها بسهولة، وقد بيّنت فيها بادلة قاطعة وبراهين دامغة مستقاة من كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » نفسه، ومن « الرسالة الجامعة » وغيرها انتساب هؤلاء الحكماء المبرزين الى « الاسماعيلية » وصلتهم الوثيقة بها، وتقدمهم بالانتساب اليها، وعراقة اصلهم بمعرفة اصولها وتعاليمها، واعتبارهم من المؤسسين لهذه الرسالة الفلسفية العظيمة، ومن المركزين لدعائمها القوية التي نبض عليها فيا بعد بناء فلسفي شامخ متين لا يزال حتى اليوم موضع دراسة واهتمام مفكري وعلماء العالم، وهذه الفلسفة هي بالحقيقة « الفلسفة الاسماعيلية » التي بذر بذورها اخوان الصفاء ثم نمت بعدئذٍ وترعرعت وبرزت اخيراً في مصر بعد جهاد طويل ومخاض عسير لتصبح نواةً لتعاليم،ودستوراً لدولة اسلامية عظيمة انتشرت رسالتها في كل مكان،وسارت حضارتها بكل الجهات تتخطى العقبات لتصل الى الهدف وتتسلم زمام الاولية والاسبقية على جميع رفيقاتها الدول الاسلامية الاخرى ولتسطِّر اعظم انتصار في مجال العلم والمدنية والحضارة، واذا ادرك القارئ الكريم ان الدولة الفاطمية هي المعنية بالقول تأكد من صواب ما جئنا به، ومن حقيقة ما نحن بصدده، ثم اذا كانت مقالاتنا الآنفة الذكر قد جاءت بالامس خالية الى حد ما من البيان الواضح والتوسع بالبحث والتفسير للرموز الكثيرة التي زخرت فيها الرسائل، ومن بعض النصوص التاريخية الاسماعيلية التي تعتبر في معرض البحث عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء ضرورية وواجبة، فلأن هذه المصادر الموثوقة الخالية من الشوائب والاضاليل كانت بالامس مفقودة من بين ايدينا، وبعيدة عن متناولنا، امّا الآن فنعود الى معالجة الموضوع نفسه على ضوء مصادر اسماعيلية جديدة كما قلنا، ولسنا نهدف سوى الدلالة على الحقيقة الناصعة وكشف الستار عن موضوع شامل يشكل اهمية كبرى في الدراسات الفلسفية – الاسلامية بل واعظمها غموضاً واعمّها ستراً الّا وهي حقيقة اخوان الصفاء ؟ وعقيدتهم ؟

واهدافهم ؟ واني لعلى يقين بان خدمتنا هذه ومسعانا في هذا السبيل سيضع حدًا لكل التخمينات والاستنتاجات العقلية التي لم توصل الى هدف او تأت بطائل ، ومهما يكن من امر فباستطاعتنا القول مؤكدين بان جميع ما كتب عن موضوع اخوان الصفاء وخلان الوفاء قد جاء ناقصاً وبعيدًا عن الواقع فهو لم يشفِ عليلًا او يروِ غليلًا او يقود الى الحقيقة المحتجبة في طيات العصور ، وليعذرني السادة : طه حسين ، وزكي باشا ، وفروخ ، وجبور ، والدسوقي ، وصليبا ، والهمذاني ، والعوا وماسينيون ، ليعذرني هؤلاء اذا قلت لهم مع احترامي لأدبهم وعلمهم واجتهادهم بان جميع ما دونوه عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء لم يأتِ بالفائدة المتوخاة . ولم يزد الموضوع الا بعدًا وتعقيدًا ، ومما لا شك فيه ان الاسباب قد تبدو عديدة ولكن اهمها عدم اطلاع هؤلاء الاطلاع الكافي على الكتب الفلسفية الاسماعيلية التي ظهرت مؤخرًا لحيز الوجود ومن الجائز انهم تعمدوا نسيانها واغفلوا درسها ومقابلتها للرسائل ، والنفاذ الى صميم واقع الفلسفة الاسماعيلية مضافًا الى كل ذلك عدم استرشادهم بآراء من هم من اهل دعوة اخوان الصفاء انفسهم والتعاون معهم في هذا الحقل لكي يعرفوا هذه الفلسفة تعريفًا علميًا منطقيًا ، ويدلوا عليها دلالة تزيل الشك والارتياب ، وكأني باخوان الصفاء وخلان الوفاء انفسهم كانوا على علم بما سوف يتقوّل عنهم بعد الف عام المتقولون ، وبما سوف يصوغه من اقوال وشكوك وتخمينات عنهم الباحثون فقالوا :(١)

« وقد قلنا لك في رسالة كيفية الدعوة ان لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا ولا يعلمها الناس الّا من قبلنا ولا يتعلم قراءتها الّا من علمناه ولا يعرف صور حروفها الا من عرّفناه » .

كل هذه اسباب تجعلنا نؤكد جازمين بأن « اخوان الصفاء وخلان الوفاء » هم اول من وضع أسس الفلسفة الاسماعيليه وركّز دعائمها وهذا ما سنتكلم عنه الآن بايضاح مبينين علاقة اخوان الصفاء بالاسماعيلية وانتسابهم بصورة عامة اليها ، لان العلماء المتقدمين والمتأخرين كما قلنا وخاصة الذين جئنا على ذكرهم لم يأتوا برأي قاطع ولم يذكروا من ألف الرسائل ؟ واين ؟ ومتى ؟ وقد دارت

١) الرسالة الجامعة ج ٢ ص ٣٧١

جميع بحوثهم في فلك حديث « ابي حيّان التوحيدي » المشهور الذي لا يشفي عليلًا ولا يفي بالمطلوب ولا يصح ان يكون مصدرًا يوصل الى الاهداف التي يقصدها العلماء. مضافًا الى كل ذلك ان كل واحد منهم ذهب مذهبًا يختلف عن الآخرين وظهروا بمباحثهم بأفكار غريبة متباينة متضادة هي اقرب للخيال من الواقع مع ان الواجب العلمي يقضي بالإستقصاء، وببحث الأمور على ضوء العلم والتجرد للواقع وإيراد الحقائق خالية من الشوائب وهذا ما دفعنا كما قلنا لخوض هذا الموضوع على ضوء الواقع العلمي والقانون الفلسفي الذي اخذنا على عاتقنا التقيد بمواده ونصوصه ونشر البحوث المتتابعة وكتابة الفصول الطويلة عنه خدمة للعلم وللدراسات الإسلامية التي يجب ان يعمّ نشرها واظهارها بين جمهور العلماء والباحثين والمستشرقين ولكي تصبح ذات فائدة تاريخية موثوقة تجلو الأفكار وتصقل العقول لا سيما بعد ان حاول الكثير منهم الخوض في بحرها الزاخر بشتى العلوم والمعارف فلم يفوزوا بطائل او بما يوصلهم الى الهدف الأسمى والغاية المثلى فضاعوا في مجاهل العلم الشاسعة وتاهوا في صحراء من الأخطاء ليس لها نهاية . ولننتقل الآن الى ذكر المصادر التاريخية ومناقشتها[1].

« بعد ان اشتد الضغط على الأمام السابع « محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب » خرج من المدينة الى الكوفة مصحوبًا باخيه (علي) وقد ظلّ فيها مدة من الزمن متسترًا عن العيون بعيدًا عن الأرصاد حتى ولد له فيها ولدًا سمّاه « عبدالله » ومن الكوفة سار الى الري واستقرّ عند احد دعاته السريين المسمّى « اسحق بن عباس » وكان يشغل منصب حاكم الري العام من قبل العباسيين وبعد مدة من الزمن قال له اسحق : يا مولاي .. قد علمت اليوم انهم بثوا العيون في كل مكان واني اصبحت اخشى عليك منهم ، فأن رأيت ان تخرج الى الجبل وتعتصم بقلعة « نهاوند » عند خادمك الداعي « منصور بن حوشد » فأن ذلك انسب وعلى كل حال الأمر لك يا مولاي ، فعمل باشارته وبعد ذهابه قبض العباسيون على اسحق وعذبوه عذابًا شديدًا ويروى انه مات تحت السياط بدون ان يدلّ على مكان الأمام

[1] « فصول واخبار » مخطوط اسماعيلي تأليف الداعي السوري « نور الدين احمد » المولود سنة ٨١٧ هـ والمتوفي سنة ٧٤٩ هـ

ولمّا لم يعرف الرشيد عن امره شيئاً ارسل القائد [محمد الخرساني] ومعه جيش كبير من الكرد والاتراك للتفتيش ثم القبض عليه فلما وصل الى « نهاوند » دخل مسجدها فرأى الامام « محمد بن اسماعيل » مسنداً ظهره الى المحراب وبين يديه رجلان يعلمها اصول الدين ، فلم يتمالك القائد نفسه حينا رأى عظمته وجلال هيبته من ان ينحني امامه ويقبّل يديه ، ثم اشار اليه بضرورة سفره من « نهاوند » لأن الرشيد يريد ان يقبض عليه اذا ما ظلّ فيها ، فخرج منها تحت جنح الظلام متستراً الى بلدة (سابور) ومنها الى « فرغانة » وبعد ذلك الى « عسكر مكرم » وهناك وعلى مشهد من دعاته نصّ على امامة ولده « عبدالله » ولقّبه « باحمد الوفي » وبعد زمن قليل توفي الى رحمة الله ، فاستلم الامامة سنة ١٦٩ هـ من بعده ولده « عبد الله » وازداد في التستر والخفاء وخرج سراً من « عسكر مكرم » الى « زامهر » ومنها الى « الديلم » وهنالك تزوّج بامرأة من الأسرة العلوية يسمّى والدها « الأمير علي الهمذاني » فرزق منها ولداً سمّاه « احمد بن عبدالله » ولقّبه « محمد التقي » ثم ان دعوته انتشرت انتشاراً واسعاً واستجاب له خلق كثير العدد في بلاد العرب وفارس ولكن الضغط اشتدّ عليه من قبل « المأمون العباسي » فأضطرّ الى مغادرة « الديلم » سراً قاصداً مدينة « معرة النعمان » السورية قرب حلب فأقام فيها مدة ثم انه غادرها بعد ذلك الى مدينة « سلمية » قرب حمص بعد ان ترك اخوه « حسين » يقوم بالنيابة عنه وأخذ العهد على المستجيبين لدعوته لأن اخاه كان حائزاً على رتبة « الحجّة » وفي « سلمية » نصّ على امامة ولده « احمد بن عبد الله » على مشهد من رجال دعوته ، وانتقل بعد ذلك الى بلدة « مصياف » ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها بمكان سُمّي « المشهد » وكان ذلك سنة ٢١٢ هـ ، وبعد وفاته استلم شؤون الامامة ولده المسمّى « احمد بن عبدالله » وهو الملقب « بمحمد التقي » وهذا الامام كان كثير التنقل في البلدان يحب التبشير بالدعوة بنفسه ، فوضع الوكلاء والدعاة بمركز دعوته في « سلمية » وسار متنقلاً في بلدان الشام ، واخيراً انتقل الى « الري » والى « همذان » ثم الى « اذربيجان » ومنها جاء الى « استانبول » حيث توفي فيها سنة ٢٢٩ هـ ، وبعد ذلك استلم شؤون الدعوة الامامية ولده وكان يقيم في « سلمية » وهو المسمّى « الحسين بن احمد بن عبدالله » الملقب

« بعبدالله الرضي » وقد توفي في « سلمية - سورية » سنة ٢٦٧ هـ ودفن في المسجد الكبير الذي كان يصلي فيه ...

(وهنا نترك ما جاء بكتاب « فصول واخبار » لننتقل الى مصدر آخر يؤيده ويتمم ما جاء فيه على ان نعود ثانيةً اليه)[1] .

اعلم علّمك الله الرشد انه اول ما فقد الامام عليه السلام وبقي الدعاة متحيرين ، اجتمع وجوههم بمدينة « عسكر مكرم » وهم سبعة نفر منهم (أبو غفير) و(أبو مسلمة) و(أبو الحسن بن الترمزي) و(زياد بن الخشعمي) و(أحمد بن الموصلي) و(أبو محمد الكوفي) وهو والد (أبو مهزول) الذي قتل موالي موالينا اهل البيت صلوات الله عليهم .

ولمّا اجتمع هؤلاء النفر المذكورون قالوا : قد فقدنا امامنا ولا صلوة لنا ولا صوم ألّا بامام ولا نعرف من نعطي زكاتنا ، واجتمعوا مع الأولياء والمحبين فجمعوا نفقات وقالوا لهؤلاء الدعاة المذكورين في صدر الكتاب : امضوا فافترقوا على عمل خرسان والعراق وجزيرة حرّان واليمن واطلبوه فخرجوا فتفرّقوا مع كل واحد صنعته وحليته وخرجوا في هيئة الطوّافين على دوابهم واخرجوا فيها الفلفل والريحان والمنازل والمرايا واللبان وما يصلح للنساء من اصناف السقط وجعلوا بينهم موعدًا يجتمعون فيه في كل اقليم على اقسام لكل واحد منهم قسم يجئ اليه ، فاذا فرغوا من الاقليم اتوا الى الميعاد فيسأل بعضهم بعضاً هل اصبتم شيئاً فاذا لم يجدوا في ذلك الموضع شيئاً انتقلوا الى اقليم آخر فيتراعدوا الى موضع آخر يجتمعون فيه .

وكان اذا اجتمع النساء والصبيان يسألونهم هل وقع عندكم رجل من صنعته كذا وكذا ؟ وكان هذا حالهم في كل موضع دخلوه ، فداروا حلب وأقليم الجزيرة وغيرها فلم يجدوا شيئاً ودخلوا اقليم « حمص » فنزلوا « بمرة النعمان » وجعلوا الميعاد بينهم في الجامع وكان الأمام عليه السلام قد وقع في « معرة النعمان » في « جبل السماق » في دير يقال له « دير عصفورين » عند « كفرقوم » .

وجاء بنهاية قصة استتار الأمام ما يلي :

---

١) مذكرات في حركة المهدي الفاطمي او استتار الامام . تحقيق المستشرق الكبير (ايفانوف) من منشورات المعهد العلمي الافرنسي - القاهرة .

« وأتى هؤلاء الى « محمد بن عبدالله بن صالح » فقالوا له ان هنا رجلا مصريًا من التجار يسألك بما يسألك به هؤلاء التجار فأمرهم ان يطلبوا موضعًا يصلح لـه وفرح به وانزله في مجرى المدينة في ناحية سوقها فاشترى له دار « ابي فرحه » ونزل عليه السلام « بسلمية » كسائر التجار فلمّا نزل بها زاد دورًا كثيرة وهدم وبنى وتأمّل وأتى اليه طوائفه ودعاته وأحدث قصرًا شاهقًا وهو « عبدالله الاكبر » وبث دعاته الى جميع البلدان سرًا وعزل وولى على انه رجل تاجر وولد له بها «احمد» و«ابراهيم» وتوفي وكانت الامامة بعده « لاحمد » دون « ابراهيم » . [انتهى بحث كتاب مذكرات في حركة المهدي الفاطمي او استتار الامام] .

ونعود لاكمال ما جاء بكتاب [فصول واخبار] .

وهذا المسجد من اعاجيب الدنيا وفيه عواميد وحجارة منقوشة منذ عهود قديمة تحيّر الأفكار ، امّا الامام [عبدالله بن محمد] فقد ظهرت في عهده احكام الشريعة والحقيقة والدين وكان قمر دولة بني العبّاس كل يوم على مزيد ، وقد ارسلوا الى « سلميّة » جيوشًا جرارة للقبض على الامام والتنكيل باحفاد محمد وعلي لكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، امّا الامام « عبدالله بن محمد » فقد كان سريع التنقل من « المعرة » الى « حماه » الى « حمص » الى « الشام » الى « مصياف » وغيرها من البلدان الشامية التي كان له فيها دعاة ينادون باسمه ويدعون له ، ولمّا علم بما آلت اليه الشريعة في عهد العباسيين من الانحطاط والضعف شرع بتأليف كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » وهو كتاب وضعه لتأييد الشريعة والحقيقة معًا وقد امر حدوده الأربعة « الحُرم »[١] وكان مقرهم في « سلميّة » وهم اقرب الحدود اليه ان يكتبوا ما ينصّه عليهم ويحمل منه اليهم فأخذ كل واحد بكتابة ما يشير به عليه من العلوم او يرسله اليه اذا كان غائبًا في مكان بعيد حتى جاء عدد رسائل الكتاب مطابقًا لعدد ركعات صلوات الفريضة والسنة والنوافل . فالصلوات الخمس احدى وخمسون ركعة كما جاء في الناموس تضاف اليهم ركعتان جلوس في صلاة العشاء ومقامها مقام ركعة واحدة يصلّيها المصلّي وهو جالس على ركبتيه فيصير المجموع اثنتين

---

١) « الحُرم » بالتعريف الاسماعيلي هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام ، وهم اساتذه والمطلعون على كل اسرار الدعوة ويسمون ايضًا « الابدال » ومن بينهم واحد يسمى « الباب » هو افضلهم ، وان عددهم جاء مطابقًا لعدد شهور الحرم ويمثلهم فصول السنة والجهات الاربع .

وخمسون ركعة . واماً حقيقة هذه الصلاة فتنطبق على التعاليم الاسماعيلية الفقهية للصلاة كما جاءت مفصلة في كتاب « دعائم الاسلام » للقاضي الفقيه « النعمان بن حيّون المغربي » الذي اورد فيه ما يلي[1] :

« جاء ان عدد ركعات الصلوات الخمس سبعة عشر ركعة فريضة وسبعة عشر ركعة سنة مثلها » .

وجاء ايضاً[2] :

« وعن ابي جعفر محمد بن علي انه قال : لا ينبغي لرجل ان يدخل في صلاة حتى ينويها ومن صلّى فكانت نية الصلاة ولم يدخل غيرها قبلت منه اذا كانت ظاهرة او باطنة » .

هذا تأييد لما ذهب اليه اخوان الصفاء . اذ انهم اعتبروا عدد الركعات للصلوات الخمس احدى وخمسون وأضافوا اليها ايضاً « النية » التي لا يجوز ان يقدم الانسان على عمل شرعي بدونها ، والنية المتممة للصلاة هي بمثول « الرسالة الجامعة » التي هي زبدة رسائل اخوان الصفاء . والمتممة لهم .

وجاء ايضاً[3] :

« وعن جعفر بن محمد (صلعم) انه قال في قول الله عز وجل والشفع والوتر قال : الشفع الركعتان والوتر الواحدة التي نميّت فيها وقال : يسلم من الركعتين ويأمر ان شاء وينهي ويتكلم بحاجته ويتصرف فيها ثم يوتر بعد ذلك بركعة واحدة يقنت بعد الركوع فيها ويجلس ويتشهد ويسلّم ثم يصلّي ركعتين جالساً ولا يصلّي بعدها صلاة حتى يطلع الفجر فيصلّي ركعتين الفجر » .

وجاء ايضاً[4] :

« وعن جعفر بن محمد (صلعم) انه قال : ما احب ان اقصّر عن تمام احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة قيل وكيف ذلك ؟ قال : ستة ركعات قبل صلاة الظهر وهي صلاة الزوال وصلاة الاوّابين حين تزول الشمس قبل الفريضة واربع بعد الفريضة واربع قبل صلاة العصر ثم صلاة الفريضة ولا صلاة بعد ذلك الى غروب الشمس ويبدأ في المغرب بالفريضة ويصلّي بعدها صلاة السنة ستة ركعات واربع ركعات قبل العشاء الآخرة وصلاة الليل اربع ركعات بعد صلاة العشاء الآخرة وثلاث ركعات للوتر وركعتان من جلوس بعدهما تعدان بركعة واحدة . لانّا روينا عن رسول الله (صلعم) انهُ قال : صلاة الجالس لغير علة على النصف من صلاة القائم وركعتا الفجر قبل صلاة الفجر فذلك اربع وثلاثون ركعة مثل الفريضة والفريضة سبع عشرة ركعة فصار الجميع احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة » .

---

١) دعائم الاسلام ج ١ ص ١٦

٢) دعائم الاسلام ج ١ ص ١٨٩

٣) دعائم الاسلام ج ١ ص ٢٤٦

٤) دعائم الاسلام ج ١ ص ٢٥٠

ان ما جاء بكتاب « دعائم الاسلام » من نصوص فقهية يكاد يكون مطابقاً لما قصده « اخوان الصفاء » ودعائم الاسلام هو دستور الاسماعيلية الفقهي وقانون مذهبها وأحكام عقائدها وقد تبيَّن من الحكمة التي اوردها ان الصلاة دائرة ناموسية دينيَّة ظاهرة والرسائل دائرة علمية ناموسية حقيقية ، وفي الدائرة الناموسية الدينية صورة لما في الدائرة العلمية . كما ان في الدائرة العلمية معرفة ما في الدائرة الدينية الناموسية وكل هذا مطابق لنظرية المثل والممثول الاسماعيلية التي كتبنا عنها وعرفناها اكثر من مرة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الامام « عبدالله بن محمد »[1] عندما جعل عدد [رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء] اثنين وخمسين رسالة وضمها الحكمة وطبقها على عدد حروف اسمه بحساب « الجمَّل » وهذا النوع من الحساب اول من استعمله وطبَّق مواده في العهود الماضية هم « الاسماعيليون » واليك المثل :

ع ب د ا ل ل ه ب ن م ح م د = عبدالله بن محمد

٧ ٢ ٤ ١ ٣ ٣ ٥ ٢ ٠ ٤ ٨ ٤ ٤ = ٥٢

هذا هو المصدر التاريخي الاول اوردناه كما جاء في الكتب الاسماعيلية التي نعتبرها من اوثق واصدق المصادر . وهذا مصدر ثان[2] .

« فلمَّا انتقل « محمد بن اسماعيل » الى دار البقاء تسلَّمها ولده المستور [احمد الوفي] وهو اول من ستر نفسه عن الاضداد من اهل عصره المخالفين لان زمانه كان زمان فترة ومحنة وكان المتغلبون من ولد بني العباس يطلبون من يشار اليهم منهم حسداً وبغضاً لاوليا. الله تعالى فأوجب ذلك الاستتار المعروف للائمة وكنيت الدعاة باسمائهم تقيةً عليهم مما هم فيه ويليق بهم وتاهت فيهم اولو الضلال حتى قالوا ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو « عبد الله بن ميمون » المعروف بقدَّاح الحكمة وزيد الهداية وزعم البعض انه « عبد الله بن

١) يسمي الداعي الاسماعيلي الأجل « ادريس عماد الدين » في كتابه « عيون الاخبار » هذا الامام « احمد بن عبد الله » ولعله يقصد من ذلك اسم والده .

٢) هذه الرسالة من تأليف الداعي الاسماعيلي السوري الأجل « ابو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة » وهي الموسومة « برسالة الاصول والاحكام » وقد ضمت الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

سعيد بن الحسين » او « عبد الله بن مبارك » او « عبدالله بن حمدان »[1] وان هؤلاء الاربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنّفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثني وخمسون رسالة .

وقال المستشرق كازانوفا :

« اؤكد ان اراء الاسماعيلية توجد كلها في رسائل اخوان الصفاء » .

وقال ديفروميري M. C. Defromery :[2]

« ان سنان بن سليمان الملقب براشد الدين[2] تناول علوم الفلسفة وأطال نظره في كتب الجدل والخلاف وأكب على مطالعة رسائل اخوان الصفاء » .

وقال ماكدونالد :

« لقد تلقى الاسماعيلية تعاليم اخوان الصفاء وزادوا فيها في حصونهم الجبلية ومفرقوامهم» .

وقال ماكدونالد ايضاً :

« يجب ان نكون على ذكر ان الاسماعيليين لم يكونوا عصابات من اللصوص تنشر الرعب بأساليبها الشنيعة ولكن كلا الفرعين الشرقي والغربي قد عكف على العلم وربما وجد في حصونهم الجبلية اشد انواع الفناء في طلب العلم الصحيح وحينما استولى المنول على قلعة « ألموت » وجدوها غنيّة برسائل اخوان الصفاء » .

وقال الاستاذ عبد اللطيف الطيباوي وهو ممن عالج مسألة اخوان الصفاء ما يلي :

« لا اراني الّا مصيباً في القول بان فلسفة الاسماعيلية جميعها مبثوثة في رسائل اخوان الصفاء ، فالقول بالامام المستور الذي سوف يظهر ليعيد السلام الى العالم هذا القول عندهم يمثل امتزاج النظريات الافلاطونية بالإعتقاد بالمجيء الثاني للمسيح ، وعليه فمن الجور في الحكم ان يُرمى الاسماعيليون بالكفر والانحطاط الاخلاقي كما جاء في فتوى ابن تيميّة» .

وقال الداعي الاسماعيلي اليمني الأجل « ابراهيم بن الحسين الحامدي» المتوفي سنة ٥٥٧ هـ في كتابه المخطوط الموسوم « كنز الولد » عند ذكر « الرسائل » و«رسالة الجامعة » ما يلي :

« قال الشخص الكامل صاحب الرسائل » .

---

١) هؤلاء الدعاة (الحُرم) في عصر ستر الائمة وهم واضعي رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء . ويعتبر (عبدالله بن ميمون) « الباب »

٢) راجع كتاب سنان وصلاح الدين تأليف عارف تامر .

ثم يعود فينقل عبارات كثيرة من « الرسالة الجامعة » وهذه كلها شواهد تدل على ان هذه الرسالة موجودة عند الاسماعيلية وغير مفقودة لديها منذ ذلك الوقت .

وقال الداعي الاسماعيلي اليمني الاجل « الشيخ ابراهيم السيفي » في كتابه الموسوم « تحفة رسائل الاخوان » الذي هو شرح الرسائل الاربعة الرياضية من القسم الاول من « رسائل اخوان الصفاء » .

وقال بعض علماء الاسماعيلية في جملة كتب مخطوطة :

« ان رسائل اخوان هي القرآن بعد القرآن او هي قرآن العلم كما ان القرآن هو قرآن الوحي وهي قرآن الامامة وذلك قرآن النبوة » .

. وقال الداعي اليمني الاسماعيلي المطلق الاجل « ادريس عماد الدين » المتوفي سنة ٨٧٢ هـ [١] .

« وقام الامام التقي « احمد بن عبدالله » بن محمد بن اسماعيل بعد ابيه بأمر الامامة وبث دعاته في الآفاق من « سلمية » واتصل به الدعاة ودعوا اليه وهم يخفون لمقامه كاتمون لاسمه ... وكان المأمون حين احتال على « علي بن موسى الرضى بن جعفر » ظن ان امر الله قد انقطع وحجته عن الارض قد ارتفعت... فحين ظنّ المأمون العباسي ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى في تبديل شريعة « محمد » صلعم وتغييرها وان يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين . . . وخشي الامام عليه السلام ان يميل الناس الى ما زخرف المأمون عن شريعة جده فألّف رسائل اخوان الصفاء » .

ثم ان مؤلّف كتاب « عيون الاخبار » ذكر فهرست الرسائل على التمام فقال :

« وهذه فهرست الرسائل التي ألّفها «الامام » جمع فيها انواع العلوم الفلسفيّة والهندسيّة وجعل « الجامعة » هي منها الغاية التي يتبين منها المراد ويتضح المعنى للمرتاد وقصرها على خلصاء شيعته وخيرة خاصته . . . وانما ألّف الامام احمد تلك الرسائل لتقوم الحجة على المأمون واتباعه حين انحرفوا عن علم النبوة ، ثم ان الامام امر ان تبث تلك الرسائل في المساجد ... فحين وقع عليها الناس رفعت الى المأمون فعلم انه لم يصنع شيئاً وان امارته من قطع حبل الامامة لا يكون » .

---

١) عيون الاخبار « المجلد الرابع » ص ٢٢٩

وقال الداعي الاسماعيلي الاجل « شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة » المتوفي سنة ٨٣٤ هـ ما يلي[١] :

« حتى همّ المتسمّى بالمامون ان يرد الامة الى دين القول بالنجوم وقال ما جاء محمد (صلعم) الّا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى اظهر ولي الله وابن رسول الله (رسائل اخوان الصفاء) وفيها ما تحيّر فيه جميع العالم من العلوم في كل فن والاستشهاد على شريعة الرسول وهو صلى الله عليه وسلّم ، ان ذلك في كهف التقية مستتر ودعاته الباقون مفرقون لتلك الرسائل في كل شهر وقطر . . . فرجع اللعين عمّا همّ به من ذلك » .

وقال الداعي المطلق «ادريس عماد الدين» في كتاب «زهر المعاني» ما يلي :

« فقام الامام « احمد بن عبدالله »[٢] صلوات الله عليه بأمر الله ووحيه وهو الثاني من الخلفاء ، وحجته « عبدالله بن ميمون » واحمد بن عبد الله عثول النطقة في دورهم مقابل لنوح ثاني النطقاء ، ولجده الحسين بن علي ثاني الاتماء ، فنشر العلوم ظاهرًا وباطنًا وصنّف الرسائل وجعلها على العلوم الاربعة ثم جعلها ثلاثة وخمسين رسالة شاهدة له ودالّة عليه لان اسمه بحساب الجمل ثلاثة وخمسون »[٣] .

وقال السيد « غلام احمد القادياني » ما يلي[٤] :

« ولما خشيَ « السيد احمد بن عبدالله » ان يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة « ألّف رسائل اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الالهية والفلسفية والشرعية » .

وجاء في كتاب « قلائد الجواهر » المصنّف باللغة الفارسية في الصفحة السابعة والعشرين ما يلي :

« ان العلّامة الفهّامة « احمد بن عبد الله » هو مصنّف اثنين وخمسين رسالة موسومة باخوان الصفاء وخلّان الوفاء » .

١) الرسالة الموقظة .

٢) الملاحظ هنا ان الامام احمد هو نجل « عبدالله بن محمد » الذي جاءت مصادرنا الاولى تذكر انه هو واضع الرسائل بينما نرى الداعي ادريس هنا يؤكد ان ولده « احمد » هو واضع الرسائل ، واما الواقع فهو ان «عبدالله بن محمد» قد وضع الرسائل ولكن الاجل لم يمهله فمات والرسائل لم تتم فجاء ولده «احمد» بعد وفاته واتمها مع الدعاة المذكورين انفسهم .

٣) نستغرب ان يذكر ادريس عماد الدين ان عدد رسائل اخوان الصفاء ثلاثة وخمسون ولعل ادريس ادخل في عدادهم رسالة « جامعة الجامعة » التي نقوم باعدادها للطبع .

٤) رسالة « المسل المصفّى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفاء» .

وقال القاضي النعمان بن حيّون المغربي التميمي[1] ما يلي :

« وسألت عن معنى قول الصادق صلوات الله عليه : قام امرنا بسبعة ثلاثة منّا واربعة من غيرنا . . . فالثلاثة هو وولده وولد ولده والاربعة الذين هم من غيرنا هم : « الأحدث » و« المختلس » و« اخا المختلس » و« القدّاح » . وهم المتمون عليهم السلام وهؤلاء السبعة هم الذين مهدوا للدولة الفاطمية وركزوا دعائمها وعملوا لاجل بنائها وهم بالتحقيق الائمة الثلاث المستورون : « عبدالله » و« احمد » – و« الحسين » . والخُرّم الاربعة مؤلفو الرسائل وهم : « عبد الله بن حمدان » و« عبدالله بن سعيد » و« عبدالله بن ميمون » و« عبدالله بن المبارك » .

وقال القفطي ما يلي[2] :

« ولمّا كتم مصنّفوها اي « الرسائل » اسمائهم اختلف الناس في الذي وضعها فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين فقوم قالوا : هي من كلام بعض الائمة من نسل « علي بن ابي طالب » واختلفوا في اسم الامام الواضع اختلافاً لا يثبت له حقيقة » .

وقال ماكدونالد ما يلي[3] :

« يظهر ان ابا العلاء المعري قد اتصل في وقت ما بجماعة مثل اخوان الصفاء ان لم يكونوا انفسهم »[4] .

وانّا اذا كنّا قد انتهينا الى هذا الموضع وأتينا على ذكر المصادر مؤيدة بالادلّة الدامغة والبراهين المعقولة عن اخوان الصفا . ممّا قاله العلماء والباحثون والمصادر المختلفة فأننا نعود الآن لنورد بعض الادلة التي تثبت انتساب اخوان الصفا للاسماعيلية وهذه المصادر من كتاب الرسائل نفسه ومن الرسالة « الجامعة » .

وجاء ايضاً بالرسائل ما يلي :

« اعلم ايها الاخ البار الرحيم ان لنا اخواناً واصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد فمنهم طائفة من اولاد الملوك والامراء والوزراء الخ . . . وقد ندبنا لكل طائفة منها احداً من اخواننا ممن ارتضيناه في بصيرته ومعارفه لينوب عنّا في خدمتهم بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم الخ . . . »

ألا يرى معي القارئ الكريم ان ما جاء به اخوان الصفا . وخلّان الوفا .

---

١) الرسالة المُذهبة ص٧٢ . هذه الرسالة قد ضُمّت الى كتاب (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر .

٢) تاريخ الحكماء .

٣) Prof. Macdonald - London - 1903, Muslim - Theologie (199.)

٤) سوف نكتب دراسة منفصلة عن علاقة ابي العلاء المعري بالاسماعيلية .

برسائلهم لا يختلف تماماً عما ذكره الامام الفاطمي (المعز لـدين الله) بكتابه المشهور المرسل الى « حسن الاعصم » قائد جيوش القرامطة :

«فما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ويدلّون علينا ويأخذون بذمتنا ويذكرون رجعتنا ويبشرون علمنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا»[1].

وجاء ايضاً[2] .

« وهذه الولاية المخصوصة لاهل بيت الرسالة عليهم السلام لا يحتاجون فيها الى مديري غيرهم والى علماء سواهم ولا يطلع الناس على اسرارهم ولا يعرفون سيئهم في مونهم ولها علوم يتميزون بها وينفصلون عن العالم بمعرفتها واعمال يعملونها لا يشركون فيها غيرهم » .

وهذه ايضاً اشارة الى العلوم الباطنية التي كثيراً ما حظّر الائمة من اهل البيت على اتباعهم اذاعتها ونشرها الّا على اهلها ، وفي الكتب الاسماعيلية التي نشرت والتي لم تنشر للآن نرى نصوصاً زاخرة بهذه الالفاظ والتعابير هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هذا المقطع يعطينا الدليـل على ان واضعي رسائل اخوان الصفا. وخلّان الوفا. هم من ائمة الاسماعيلية الذين كانوا يعيشون في دور الستر الاول الذي يبتدئ من عهد «محمد بن اسماعيـل بن جعفر الصادق» حتى بدء الدولة الفاطمية في المغرب .

وجاء ايضاً[3] :

« قيل يا رسول الله من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال : نعم . . . من قالها مخلصاً دخل الجنة قيل له وما اخلاصها ؟ قال معرفة حدودها وأداء حقوقها فقيل يا رسول الله ما معرفة حدودها ؟ واداء حقوقها ؟ فقال : «انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد ما في المدينة فليأت الباب » .

لا اراني بحاجة الى توضيح معنى هذا المقطع الذي لا شك انه يذخر بالتعابير الباطنية والتعاليم الاسماعيلية وفلسفتها واعتقاداتها الخاصة بالنبوة والولاية، ومهما يكن من شيء. فلا بد لي من سؤال اساتذتنا الكرام وخاصة الـذين بحثوا رسائل الاخوان عن معنى هـذا المقطع ؟ وهل يتلاءم مع ما جاء بكتب الاسماعيلية التي عبّرت عن عقائدها وفلسفتها ؟

---

١) اتعاظ الحنفا ، المقريزي ص ١٣٩

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٤٠٣

٣) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٤٨٦

وجاء ايضاً[1] :

« اعلم يا اخي بأنا قد عملنا احدى وخمسين رسالة في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والانموذج لكيما اذا نظر فيها اخواننا وسمع قراءتها اهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ما هو مقرون بها من تفضيل اهل بيت النبي (صلعم) لانهم خزانة علم الله ووارثوا علم النبوات تبيّن لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة » .

وهذا دليل قاطع يؤكد بان رسائل اخوان الصفاء وخلّان الوفاء ذات رموز عسيرة الفهم وان امر تفسيرها ومعرفة اسرارها وتعاليم فلسفتها موقوف على الخاصة من شيعة مؤلفيها وضمير انا يعود الى مؤلفي الرسائل انفسهم وهم ائمة الاسماعيلية المستورون او اخوان الصفاء وخلّان الوفاء ..

وجاء ايضاً[2] :

« اعيادنا انما الاخ هي اشخاص ناطقة وانفس فعّالة تفعل بأذن باريها ما يوحيه اليها ويلهمها من الافعال والاعمال ، فاليوم الاول من ايامنا والعيد الفاضل من اعيادنا هو يوم خروج اول القائمين منا ويكون اليوم الموافق لنزول الشمس برج الحمل لمجيء الربيع والخصب والنعمة ونزول الرحمة والظهور والانتشار وهو يوم فرح وسرور لنا ولجميع اخواننا واليوم الثاني هو يوم قيام الثاني الموافق يوم قيامه يوم نزول الشمس اول السرطان في تناهي طول الليل وقصر النهار وكان تصرّم دولة اهل الجور وانقضاءها وهو فرح وسرور وانتشار ، واليوم الثالث هو يوم قيام ثالثنا الموافق لنزول الشمس اول الميزان واستواء الليل والنهار ودخول الخريف وهي مقاومة الباطل الحق وكون الامر على خلاف ما كان عليه ، ثم اليوم الرابع يوم الحزن والكآبة يوم رجوعنا الى كهفنا وكهف التقية والاستتار فيكون الامر على مثل ما نحن عليه في وقتنا الى وقت البروز والخروج والرجوع بعد الذهاب كرجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء الى برج الحمل » .

التعاليم الاسماعيلية كما هو جليّ وواضح لكل من درسها ووصل الى معرفتها جاءت جميعها زاخرة بنصوص تشير الى ان كل امام سابع يجمع قوى الائمة الستة التي قبله لانه يكون قائماً بالفعل بينما الائمة الستة التي قبله فيكونوا قائمين بالقوة ، ويكون ايضاً هو نهاية الدور ويسمّى (اساس) اي اساس للائمة الستة الذين يأتون بعده لانه يعتبر واضع الاسس للقضايا والاحكام وراسم للمناهج

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢٢٢ .

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٣٠٨

التي يجب ان يسيرّ عليها هؤلاء الستة بعده أمّا الامام الذي يأتي بعده وهو صاحب رتبة « الثامن » فيسمّى ايضاً «قائم» لانه يكون الاول في الدور الجديد، وهنا يمكننا ان نقرر على ضوء هذه الفلسفة ان الامام «محمد بن اسماعيل» هو صاحب رتبة «السابع» وهو الاساس وخاتم الدور، ويأتي بعده الدور الثاني الذي ينتهي بالامام الفاطمي السابع «المعز لدين الله» وهو ايضاً اساس ومتم الدور، امّا ما جاء بهذا الفصل عن الاعياد وترتيباتها فهذه دلالة على ان العيد الاول بعد الدور الثاني هو ممثول الامام الفاطمي وهو (العزيز) نجل الامام (المعز لدين الله) وهو الذي انتصر على القرامطة وردّ غزوهم للاراضي المصرية. والعيد الثاني ممثول الامام (الحاكم بامر الله) الذي هدم دولة اهل الجور وهو العيد الثالث. وأمّا الرابع فهو يوم الحزن والكآبة اي يوم ذهاب الدولة الفاطمية بوفاة الامام الفاطمي [المستنصر بالله] ووقوع الفتنة وذهاب الفرح والسرور وعودة الأئمة الى كهف الستر والتقية.

وجاء ايضاً[1].

« اعلم يا اخي ان كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سماواته خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته وهم خلفاء الله في افلاكه كما انّ ملاك الارض هم خلفاء الله في ارضه ».

وهذه ايضاً تعاليم اسماعيلية يعرفها كل من درس علم التأويل ووقف على دقائقه وآراء الاسماعيلية فيه، فالكواكب المشرقة هم الدعاة الذين يشرقون بالعلوم على الاتباع وعلى الكافة، والسماء هي الشريعة او عالم الدين او «الدعوة» التي ترسل مياه الامطار لاحياء الاموات، والامطار هي العلوم الالهية، والملائكة الذين يقيمون هذه الدعوة فهم حدود عالم الدين.

وجاء ايضاً[2]:

« واعلم ان دولة اهل الخير يبدأ اولها من قوم علماء حكماء اخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً ألّا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضاً ويكونون كرجل واحد في جميع امورهم وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون ».

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٩٨

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ١٣١

لا اظن ان احداً ممن سبق له الاطلاع على تاريخ « الفدائية » الاسماعيلية وانظمتها الاجتماعية وقوانينها الحربية واعمالها في فارس وسوريا واليمن يحجم عن الاتفاق معي بالرأي بأن المدرسة التي وزعت هذه التعاليم وبذرت هذه البذور هي مدرسة اخوان الصفا. وخلان الوفا.

وجاء ايضاً[1] :

«وقد نرى انه قد تناهت دولة اهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت افعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد الزيادة الا الانحطاط والنقصان ولا بد من كائن قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا » .

وهذا بيان كاف ودليل وافر فيه الدلالة على ان رسائل اخوان الصفا. وخلان الوفا. قد وضعت في وقت كان فيه حكم دولة اهل الشر قائماً والمقصود بدولة اهل الشر «العباسية» التي كانت في ابان عزها ومجدها يومئذ، أمّا قولهم : « فلا بد من كائن قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا » فهذا تبشير في عهد الستر بظهور امام من الفاطميين وقد دلّت القرائن وأكدت الاحوال ان الامام الذي كانوا يعدون الناس بظهوره هو « محمد المهدي بالله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب .

وجاء ايضاً[2] :

« واعلم يا اخي بأنّ لكل نفس من المؤمنين ابوين في عالم الارواح كما ان لاجسادهم ابوين في عالم الاجساد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه « انا وانت يا علي ابوا هذه الامة . . .» وهذه الابوة روحانية لا جسدية » .

وجاء ايضاً[3] :

« ومن الناس طائفة ينسبون الينا بأجسادهم وهم براء بنفوسهم منا ويسمّون انفسهم العلويّة وما هم من العلويين ولكنهم من اسفل السافلين لا يعرفون من امرنا الا نسبة الاجساد فهم ابعد الناس عن اهل ملتنا واعدى الناس لشيعتنا واجهل الخلق بعلومنا واغفل الناس عن حقيقة امرنا وأسرار حكمتنا » .

---

١) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٥٢٣
٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ١٩٨
٣) « « « « « «

وجاء ايضاً[1] :

« ومن الناس طائفة قد جعلت التشيع مكسباً لهم مثل النائحة والقصاص لا يعرفون من التشيع الا التبري والشتم واللعنة والبكاء مع النائحة وحب المتدينين بالتشيع وترك طلب العلم وتعلم القرآن وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل يبكون على فقدان اجسادنا وهم بالبكاء على نفوسهم اولى » .

المتكلم هنا الائمة من آل بيت الرسول محمد (صلعم) اذ ان الضمير عائد لهم ، وفي هذا الفصل بيان يثبت ان عقيدة اخوان الصفا لم تكن لتتفق وتعاليم الشيعة العلوية الاثنى عشرية المعروفة التي تقضي تعاليمها بلزوم المشاهد وزيارة القبور والبكاء كالثواكل على الاجساد الفانية ، وفي الاعياد كيوم عاشوراء وذكرى الحسين وغيره ويتجلى واضحاً انّ اخوان الصفا يقولون برأي الاسماعيلية الباطنيّة التي اتخذت عقيدة تلزمها بالاعتراف بالامام الحاضر الموجود الذي يجب ان تكون الارواح منتسبة اليه ، أمّا العلوية فينتسبون اليه بالاجساد ، والجسم بالتأويل الاسماعيلي يمثل الظاهر والروح تمثل الباطن ، وأمّا الشتم والتبري التي تقول فيها بعض الفرق الشيعية الغلاة فلم يكن من مذهب الاسماعيلية او من تعاليم اخوان الصفاء الذين يقولون :

« نحن لا نعادي علماً من العلوم ولا نتعصب على مذهب من المذاهب لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب جميعها » .

وجاء ايضاً[2] :

« ومن الشيعة من يقول ان الأئمة يسمعون الدعاء ولا يدعون حقيقة ما يقرون به وصحة ما يعتقدون ، ومنهم من يقول ان الامام المنتظر مختفٍ من خوف المخالفين كلّا بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون » .

وهذا بيان آخر يوضح اعتقاد الاسماعيلية بالامامة وبان الامام لا يستتر الّا عن الاعداء. وظهوره يكون دائماً بين شيعته المخلصين يعرفهم ويعرفونه وليس هو كالامام المنتظر لدى الفرق الشيعية الاخرى التي تزعم انه مختفٍ عن الانظار من الخوف .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ١٩٨

٢) « « « « «

وجاء ايضاً[1] :

« وعمّا يجمعنا وإياك ايها الاخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام واهل نبيه الطاهرين وولاية امير المؤمنين علي بن ابي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم اجمعين » .

وفي هذا المقطع دليل واضح يثبت ان اخوان الصفاء هم من الاسماعيلية اذ ان كلمة « وصي » لم تكن لتعرف لدى احد من الفرق الاسلامية قبل الاسماعيلية .

وجاء ايضاً[2] :

« ان من خواص اخواننا الفضلاء اخص العلماء بأمور الديانات العارفون بأسرار النبوات المتأدبون بالرياضيات الفلسفية فاذا لقيت احداً منهم وآنست منه رشداً فبشره بما يسره وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه والانجلاء الغمة عن العباد بانتقال القران من برج مثلثات النيران الى برج مثلثات النبات والحيوان في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان وظهور الاعلام » .

جميع هذه الظواهر الفلكية المذكورة بهذا المقطع دلت وتدل على ان الامام العاشر الذي هو الامام « الحسين بن احمد » او « رضي الدين عبدالله » وهو والد « محمد المهدي » الذي انفلت من كهف الستر وكان في « سلمية - سوريا » واستأنف دور الستر بظهوره في المغرب كخليفة فاطمي ، وارتفاع بيت السلطان وظهور الاعلام الفاطمية وكل هذا الظهور قد اجلى الغمة عن المؤمنين وأعاد الطمأنينة الى النفوس .

وجاء ايضاً بالرسائل :

« فصار ذلك سبباً لاختفاء اخوان الصفاء وانقطاع دولة خلان الوفاء الى ان يأذن الله بقيام اولهم وثانيهم وثالثهم في الاوقات التي ينبغي لهم القيام بها » .

وفي هذا المقطع ايضاً تظهر اشارة الى عهد الستر وانضواء ثلاثة من الائمة وراء حجابه الكثيف مع بيانٍ وافٍ عن انتهاء هذا الدور بظهور اول ائمة دور الستر وهو الامام « محمد المهدي بالله » والثاني وهو « القائم » والثالث وهو « المنصور » وجاء ايضاً بالرسائل :

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢٤٢
٢) » » » ج ٤ ص ١٩٤

« ويروى عن النبي « صلعم » انه قال : من اخلص العبادة لله اربعين يوماً فتح الله قلبه وشرح صدره واطلق لسانه بالحكمة ولو كان اعجمياً غلفاً . . . »

وجاء بالقرآن الكريم :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » .

وهنا لا بد لنا من ايضاح ناحية هامة تحتل المكان الاول في الاعتقادات الاسماعيلية وهذه الناحية هي تأويل كلمة «اربعين يوماً» التي يدل معناها بالتعريف الاسماعيلي الفلسفي الباطني على الاربعين حـداً الذين تتكون منهم الدعوة الأسماعيلية الأمامية في كل عصر وزمان، هذا من جهة ومن جهة ثانية فأن معنى جملة « من اخلص لله العبادة اربعين يوماً فتح الله قلبه وشرح صدره واطلق لسانه بالحكمة ولو كان اعجمياً غلفاً » انـه يجب على من يرغب الوصول الى المعرفة التي منها ينبزغ فتح الصدر وشرح القلب واطلاق اللسان بالحكمة والعبادة الفعلية الخالصة لله . . اجل ان على المستجيب الداخل الى فناء الدعوة الفسيح الأنضواء تحت لواء الدعاة الأربعين الذين تتألف منهم الـدعوة وان يأخذ عنهم العلوم الامامية الفلسفية واحداً بعد الآخر بالترتيب الى تمام الاربعين وعندئذ يكون قد وصل الى المعرفة وتفيأ كل العلوم الشرعية والحقيقية والناموسية واستظل بظل الهدف المنشود، ومهما يكن من امر فلا بـد من الأشارة بأن هذا البيان يؤيد ما ذهب اليه اكثر دعاة الأسماعيلية الذين جاءوا بعـد اخوان الصفاء واخذوا عنهم العلوم والقواعد الفلسفية ومنهم الداعي الأجل « ابو يعقوب اسحق السجستاني » وقد نرى هذا الداعي الفيلسوف يضع كتاباً في الفلسفة يعتبر فريداً من نوعه ومن اقوم الكتب الباطنية على الاطلاق سماه «الينابيع»[1] وقسّمه الى اربعين ينبوعاً كل ينبوع مثلاً على حد من حدود الدعوة الأسماعيلية الأمامية الأربعين .

وجاء ايضاً بالرسائل :

« وقد ذكر الله تعالى نعت هؤلاء القوم في القرآن في آيات كثيرة وأثنى عليهم ومدحهم، ووردت عن النبي عليه السلام اخبار كثيرة في نعتهم وصفتهم وحسن الثناء عليهم » .

---

١) حقّق هـذا الكتاب عارف تامر وضمّه الى كتاب « ثلاث رسائل اسماعيلية » من منشورات المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية — طهران .

ومن ذلك ما روى عنه (صلعم) انه قال :

«لا يزال في هذه الامة اربعون رجلاً من الصالحين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام».

وجاء ايضاً[1] :

«ويقال ان هؤلاء الاربعين رجلاً اربعة منهم «الابدال»[2]، وانما سُمُّوا الابدال لانهم بدّلوا خلقاً بعد خلق وصفّوا تصفية بعد تصفية وذلك ان هؤلاء الاربعين منتقون من جملة اربعمائة من الزاهدين العارفين المحققين وهؤلاء الاربعمائة منتقون من اربعة الاف من المؤمنين التائبين المخلصين وكلما مضى شخص من الاربعة قام في رتبته شخص من الاربعين واذا مضى شخص من الاربعين قام في رتبته شخص من الاربعمائة واذا مضى شخص من الاربعمائة ارتقى الى منزلته شخص من الاربعة الاف فبلغ رتبته وقام مقامه، وكلّما مضى شخص من الاربعة الاف ارتقى مكانه بدلاً من واحد من المؤمنين التائبين المخلصين فبلغ درجته وقام مقامه واليهم اشار امير المؤمنين علي عليه السلام بقوله لكميل بن زياد : اولئك الاقلون عدداً الاعظمون عند الله قدراً » .

وجاء ايضاً[3] :

« وذلك ان النبي «صلعم» وعلى آله وسلّم في اول مبعثه ودعوته ابتدأ اولاً – بزوجته خديجة عليها السلام ثم بابن عمه علي عليه السلام ثم بصديقه ابي بكر ثم مالك وابي ذر وصهيب وبلال وسلمان وجبير وبشّار وغيرهم حتى التأموا تسعة وثلاثين رجلاً وامرأة ثم دعا رسول الله « صلعم » وآله ان يعز الله عز وجل الاسلام بأحد رجلين امّا بأبي جهل او بعمر بن الخطاب فأستجيبت دعوته في عمر وأسلم والتأموا اربعين رجلاً وأظهروا الدعوة » .

كل هذه ادلة وبراهين مؤيدة للاعتقادات الأسماعيليـة التي تنص بأنه لا يمكن لدعوة ما ان تقوم وتظهر للملأ الّا بعد ان يبلغ عدد القائمين عليهـا الأربعين وفي معنى آخر ان اي نبي من الانبياء لم يتيسّر له القيام بدعوته الّا بعد بلوغه الأربعين من العمر . وقد جاء بالأخبار ايضاً ان الوحي لا يمكن ان يطرق الأنبياء الّا بعد ان يكونوا قد اكملوا الأربعين عاماً، أمّا الأسماعيليـة فتأول هذه الأقوال بقولها ان الوحي لا يطرق النبي وان الدعوة لكل نبي لا يمكن ان تتمّ الّا بعد ان تكمل بأربعين داعياً .

وجاء ايضاً[4] :

١) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ج ١ ص ٢٩٨

٢) الابدال بالتعريف الاسماعيلي م « الحُرُم » .

٣) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٨٤

٤) « « « ج ٣ ص ١٩٨

« ان الله تعالى هو المبدع وبعده العقل الفعّال وهو جوهر بسيط روحاني ابسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى علّام بالفعل وبعده النفس الكلية وهي جوهرة بسيطة روحانية علّامة بالقوة فعّالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعّالة في الهيولى بالتحريك لها وبعدها الهيولى الاولى وهي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علّامة ولا فعّالة بل قابلة اثار النفس بالزمان منفعلة فيه وبعدها الطبيعة الفاعلة وهي قوة من قوى النفس الكلّية سارية في جميع الأجسام مدبرة لها وتسمى النفوس الجزئية او الملائكة ، وبعدها الجسم المطلق ذو الطول والعرض والعمق وهو الهيولى الثانية وبعدها عالم الأفلاك وبعدها العناصر السفلى كالنار والهواء والماء والأرض وبعدها المعادن والنبات والحيوان » .

وجاء ايضاً[1] :

« فالعقل هو اول موجود اوجده الباري تعالى وأبدعه من غير واسطة ثم اوجد النفس بواسطة العقل ثم اوجد الهيولى وذلك ان العقل جوهر روحاني فاض من الباري عز وجل وهو باقٍ تام كامل والنفس جوهرة روحانية فاضت من العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهيولى الأولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باقٍ غير تام ولا كامل » .

هذا هو ترتيب عالم الأبداع لدى اخوان الصفا . كما جاء بالرسائل ويقابل هذا العالم عوالم ثلاث كل واحد منها ممثول للاثنين الآخرين وهم : عالم الأجرام وعالم الأجسام وعالم الدين ، ومهما يكن من شيء فأن جميع دعاة الأسماعيلية الذين دوّنوا الكتب الفلسفية بحثوا هذا الموضوع بحثاً دقيقاً رائعاً وفصّلوه تفصيلاً بديعاً ، واني اؤكد بأنني قرأت بامعان وروية جميع ما تركه المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) ومنصور اليمني ، والقاضي النعمان بن حيّون المغربي ، وابو يعقوب السجستاني ، وأحمد حميد الدين الكرماني ، وأبو حاتم الرازي ، والنسفي ، وغيره من فلاسفة الأسماعيلية من مؤلفات فلم أجد احداً منهم خالف هذا الترتيب او شذّ عن هذه القواعد ، فاخوان الصفا . قالوا عن الموجود الأول انه العقل الفعّال وأيدهم في ذلك المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) . أمّا الكرماني فقد اطلق عليه اسم العقل الأول وسمّاه السجستاني السابق وقال غيره العقل ، واطلق عليه بعض الدعاة الموجود الاول او الكاف ، اما النفس الكليّة كما سمّاها اخوان الصفا . فقد اطلق عليها الكرماني اسم المنبعث الأول وجاء غيره فقال عنها التالي او اللوح وسماها غيره الموجود الثاني ثم اطلقوا على العقل والنفس (الجدان والأصلان) ، اما ترتيب عالم

١) رسائل اخوان الصفا ، ج ٣ ص ١٧٨

الأبداع العلوي الاول فقد جعله الكرماني كما يلي :

قال : ان الحد الأول هو الأول في الوجود والسابق في الوجود والتام في الوجود والتام في الوجود والعقل الأول والحد الأول والمبدع الأول، وقال عن الثاني المنبعث الأول او العقل الثاني وقال عن الثالث المنبعث الثاني الأول وهو الهيولى والصورة ثم نرى الكرماني ينتقل ليشرح الموضوع ويفصله فيقول انه يصدر عن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها وما فيها من الأشياء الكثيرة وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصدر الانسان بالنفس والجسم فترجع نفس الانسان الى ما عنه وجدت وهو الملائكة ويرجع جسمه الى ما عنه وجد وهو الهيولى والصورة .

ويقول الكرماني ايضاً ان العقول عشرة وهي مراتب الوجود وان الأبداع والانبعاث الذين يذكرهما ويحلها محل الفيض الذي يقول فيه افلاطون : فمن الممكن ان نلتمس لها وجه شبه لعله اظهر ما يكون بين الكرماني وبين اخوان الصفا. ولكن من الظاهر ان القول بالأبداع والأنبعاث وبالمبدع والمنبعث نراه شائعاً في رسائل اخوان الصفا. كما نراه شائعاً في كتاب (راحة العقل) للكرماني ونجد أيضاً ان مذهب الكرماني في وجود العقل الأول على طريق الأنبعاث هو بعينه ما يذهب اليه اخوان الصفا. من ان العقل الفعّال له الأبداع الاول والخلق الاكمل وان النفس الكلية هي الابداع الثاني او المنبعث الاول ولا يختلف اخوان الصفا. عن الكرماني الّا في تسمية الحدود كما قلنا فهم يطلقون على الابداع الاول اسم العقل الفعّال في حين يطلق عليه الكرماني اسم العقل الثاني او المنبعث الأول وليست هي المسألة الوحيدة التي يقع فيها التشابه بين الكرماني وبين اخوان الصفا. وانما هنالك مسائل اخرى تتصل بمراتب الوجود وترتيب العقول وما يقابلها من ترتيب الأفلاك والأجرام وحدود عالم الدين وهذه وكثير غيرها من المسائل الفلسفية وما يمتزج بها من عقائد الدعوة الأسماعيلية يقع فيه التشابه بين اخوان الصفا. وبين الكرماني، وان هذا التشابه ليقوى ويأخذ طريقه ويظهر ويتضح الى ان يأخذ صورة التطابق في الألفاظ والعبارات فضلًا عن لب العقائد وصميم النظريات وذلك بشكل يؤكد لنا معه ان الكرماني لم يكن متأثراً باخوان الصفا. فحسب ولا متفقاً معهم

فيا يذهبون اليه من الآرا. والاعتقادات وانما هو يرى رأيهم ويذهب مذهبهم ويسلك سبيلهم ويقلدهم ويصطنع الفاظهم وعباراتهم لأنه يعتبرهم اسياده ومؤسسي دعوته وائمته ولعلنا لو اردنا التطويل لخرجنا عن قاعدة الايجاز وعددنا جميع النقاط والأرقام ولكن يكفي ان نشير الى ما يصطنعه الكرماني في اوائل مشارع كتابه هذا او اواخرها من الفاظ وعبارات هي بالحقيقة من صميم ما يصطنعه اخوان الصفا. في اوائل رسائلهم او اواخرها فهو يقول مثلاً :

« سيكون لحل هذا الرمز عند اصحاب الصنعة . . . ومن يكون اخانا حقاً في الفطنة والذكاء والتأله عيد كبير »[1] .

ويقول :

« والله يجمعنا وجماعة الأخوان المخلصين في دار القدس »[2] .

ويقول :

« وصلى الله على محمد وآله الطاهرين والسلام عليهم اجمعين وعلى جماعة اخوانتا التابعين لنا في اعتقادنا »[3] .

وكل هذا ردده اخوان الصفا. :

« اعلم ايها الاخ البار الرحيم »[4] .

« واعلم يا اخي ايدك الله وايانا بروح منه »[5] .

« ووفقك الله وأيانا وجميع اخواننا طريق السداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد »[6] .

هذا هو ترتيب الحدود العلوية لدى احد كبار الدعوة الأسماعيلية (الكرماني) عرضنا له وغايتنا ان نأتي بالدليل القاطع على اتفاق الكرماني واخوان الصفا. بالنظريات الفلسفيّة والاعتقادات الدينيّة وها اننا نورد رأي داعٍ كبير آخر بحث هذا الموضوع واتفق مع اخوان الصفا. واثبت انه من مدرستهم ومن

١) راحة العقل — الكرماني صفحة ٢٤
٢) « « « « ١٢٩
٣) « « « « ٢٢٦
٤) رسائل اخوان الصفاء ج ١ صفحة ٢٣
٥) « « « « « ٣٧
٦) « « « « « ١٠٩

حافظي تعاليمهم وهو « المؤيد في الدين الشيرازي » داعي الدعاة في عهد الامام « المستنصر بالله الفاطمي » اذ يقول في القصيدة الثانية من ديوانه :

« بديع شكرٍ ووسيع حمد   لمبدع الكاف الرفيع المجد
أكمله سبحانه اذ ابدعه   مبتدعاً واخترع النون معه »

فقال ان الله ابدع الكاف واخترع النون وان من الكاف والنون أقام الله العالم العلوي والعالم السفلي وهذه رموز اسماعيلية لا يدرك اسرارها الّا كل من اطلع على علم الحقيقة. وقال الاسماعيليون ورووا عن النبي (صلعم) انه قال : اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً اجل منك بك اثيب وبك اعاقب[١] وهكذا اتفق الفاطميون ودعاتهم مع اخوان الصفا. على القول بان العقل اول الموجودات واخوان الصفا. قالوا : العقل هو اول موجود فاض من وجود الباري[٢] والنفس ترتبت بعد العقل والهيولى بعد النفس والطبيعة بعد الهيولى والجسم بعد الطبيعة وقالوا في موضع آخر : واعلم يا اخي ان العقل انما قبل فيض الباري تعالى وفضائله الذي هو البقا. والتام والكمال دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة لقربه من الباري عز وجل وشدة روحانيته فأما النفس فأنه لمّا كان وجودها من الباري جلّ ثناؤه بتوسط العقل صارت رتبتها دون العقل[٣] فالكرماني والمؤيد في الدين واخوان الصفا. قالوا بان العقل اول الموجودات وهذا العقل الأول هو الذي اشار اليه الله تعالى (بالقلم) وسمّاه الكرماني (المبدع الأول) او الواحد الذي لا يتقدمه شي. وذلك لأنه الملك المقرب الذي اخبرت عنه السنة الألهية والشريعة النبوية بالقلم[٤] وقال المؤيد في الدين داعي الدعاة : « والقلم اول نور سطع ابداعاً من المبدع سبحانه[٥] وبذلك سبب تهكم المؤيد في الدين على من قال ان القلم من مادة معدنية او نباتية وإذا رجعنا الى

---

١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠
٢) رسائل اخوان الصفاء طبعة الهند ج ٣ ص ٤
٣) « « « ج ٣ ص ٦
٤) راحة العقل ، الكرماني ص ٢٨٢
٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠٩

رأي الفارابي في القلم نراه قريباً من رأي الاسماعيلية اذ كان يرى ان القلم واللوح من الملائكة الروحانية.

وقال ايضاً :

« لا نظن ان القلم آلة جمادية واللوح بسط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحاني واللوح ملك روحاني[1] اذن فان القلم او العقل الكلي او المبدع الاول هو اول المبدعات في رأي بعض دعاة الفاطميين وهو الذي سمي ايضاً في الدعوة باسم السابق وهو اعلى الحدود مكانة كما ذكرنا من قبل وكما قال اخوان الصفاء :

« والى الخمسة الفاضلة من الملائكة اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «حدثني جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم »[2] .

وها اننا ندخل الداعي الأجل «ابو يعقوب السجستاني» بالمناقشة ونشركه بالبحث فلنستمع اليه يفصل لنا آراءه بالحدود العلوية[3] قال :

«ثم العقل اذ ان الباري تعالى لم يوجد في اول الخلقة غير العقل وحصر في جوهره صور المبدعات كلها ويضاف الى العقل اسم «القلم» لان بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء الى الانتهاء. ويقال للعقل « العرش » اي انه مقر لمن جلس عليه وبجلوسه عليه تعرف جلالته عن من هو منحط دونه ويقال للعقل « الاول » ومعناه ان الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ما هو موجود وما هو مطبوع عليه غيره في اظهار قوته التي من اجلها ايس ذلك الشيء. ويقال للعقل ايضاً السابق ومعناه ان العقل أسبق تقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحادها به وهي العلم والامر الذين هما بمعنى واحد قد يجوز ان العقل فعله سبق قوته ولم توجد هذه الفضيلة في آيس سواه لأن جميع الحدود من دونه قواتهم سابقة افعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً ويقال (للعقل) (القضاء) على ان بالعقل تقضي النفس ادراك المعلومات والظفر بالمطلوبات ويجوز على ان العقل هو قضاء الله عز وجل بين خلقه ويقال للعقل

---

١) رسالة نصوص الحكم للفارابي طبع ليدن ص ١٨٩٠

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٢٢

٣) رسالة « تحفة المستجيبين » ج ٣ ص ١٤٨ هذه الرسالة ضمت الى كتاب (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر .

ايضاً الهيولى فمعناه ان بالعقل قوام ما ينبجس من الصور المستفادة ويقال للعقل (الشمس) ومعناه ان بالعقل تبصر الحقائق .

ثم ان النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول وانما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة ويقال للنفس (اللوح) فمعناه ان الذي انفطر من العقل من انوار الحكمة يتسطّر في النفس ومن النفس يتصل بجريانها المنبعثة منها على مقدار صفائها ولطافتها ويقال للنفس (الملك) ومعنى ذلك ان النفس هي ملك العقل وقينته لان بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما ان بالملك تظهر فضيلة الملك ويقال للنفس (الثاني) فمعناه انها الحال الثاني لجميع المخلوقين ومحافظتهم أشياءهم انما تفضيل النفس بين كل شيء. ليكون للسلوك وللمنطق عبارة ويقال للنفس التالي فمعناه ان الذي يتلو العقل في باب قبول آثار الكلمة انما هي النفس ويجوز على ان النفس بقوتها تتلو العقل بفعله ويقال للنفس (القدر) فمعناه ان الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل فان التقدير والتحديد محيطان به ويقال للنفس (الصورة) ومعنى ذلك ان النفس تصوّرت من جوهر العقل الذي به تقف على فوائده ويقال للنفس (القمر) فمعناه ان النفس تستفيد من أنوار العقل وضيائه وانها متى همّت ان تلحق به لتنزل منزلته محق نورها كما ان القمر يستفيد نوره من نور الشمس واذا اجتمع في المنزلة محقت نوره ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة « الأصلان » . »

ما عسانا نقول في اخوان الصفا. بعد هذه المقابلة ؟ او يبقى هنالك مجال الشك باسماعيليتهم ؟ وهل بعد ايراد هذه البينات الاكيدة الدامغة والمقابلات العلمية الثابتة ريب بأنهم ليسوا من الأسماعيلية ؟ الأسماعيلية التي كان اخوان الصفا. دعائم قوتها ومؤسسيها ، ولكل من جاء بعدهم من الدعاة الذين نهلوا من منهلهم وساروا على غرارهم وسعوا للوصول الى الهدف الذي يجمعهم بهم والاستظلال بظل فلسفتهم ؟ ونعود الآن لنذكر ناحية ثانية تزيد الموضوع توضيحاً وتأكيداً وهي نظرية التأويل الباطني بالنسبة للفاطميين واخوان الصفا. .

فقد جاء المؤيد في الدين داعي دعاة الامام المستنصر بالله الفاطمي يقول[1] :

١) المجالس المؤيدية ج ١ مجلس ١٦

« اعلم يا اخي ان لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهرًا وباطنًا فظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وقد سأل الامام جعفر الصادق عن الحاجة الى اتخاذ الباطن في الحجب والدول جا عن طريق الايضاح والاظهار فأجاب : هي الحاجة الى اتخاذ الحب في اغطية السنابل والثمار في الأغشية ليوم لاستخلاصها ذوو البصائر والأبصار فبيّن الله سبحانه فضل المجتهدين على المقصرين والمجاهدين على القاعدين وقد نظم المؤيد قول جعفر بقوله :

« وربّ معنى ضمّه كلام كمثل نور ضمّه ظلام
باق بقاء الحب في السنابل في معقل من احرز المعاقل»

وقال مشيرًا الى الامام :

يستخلص الأرواح من ظلامها ويخرج الثمار من أكمامها

وجاء أيضًا[1] :

« ان الباري سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهرًا جليًا لا يخفى وبعضها باطنًا خفيًا لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجليّة جواهر الاجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنية الخفيّة جواهر النفوس وحالاتها ومن الموجودات الظاهرة الجليّة للحواس ايضًا امور الدنيا ومن الموجودات الباطنية الخفية عن اكثر العقول امور الآخرة ثم جعل ما كان منها ظاهرًا جليًا دليلًا على الباطن الخفي » .

وجاء أيضًا[2] :

« واعلم يا اخي بأن لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهرًا وباطنًا وظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وان الناموس هو أحد الأشياء الموجودة في هذا العالم منذ كان الناس وله احكام وحدود ظاهرة بيّنة يعلمها اهل الشريعة وعلماء احكامها من الخاص والعام ولأحكامه وحدوده اسرار وبواطن لا يعرفها الا الخواص منهم والراسخون في العلم » .

من المعلوم لدى كل متعمق ببحث العقائد الاسماعيلية وفلسفتها وتعاليمها ان هذه المجموعة الاسماعيلية الفلسفية تعتنق فكرة الرئيس الروحي أو الامام الذي تعتبر وجوده ضروريًا في كل عصر وزمان لينطق بالقرآن ويقوم بالوعظ والارشاد والفصل بالقضايا والاحكام ، وهذه رسائل اخوان الصفاء جاءت في اكثر من موضع تثبت هذا الاعتقاد .

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٧٨
٢) « « « « « ٢٥٥

وجاء ايضاً[1] :

« واعلم انه ما من جماعة تجتمع على امر من امور الدين والدنيا وتريد ان يجري امرها على السداد ونكون سيرها على الرشاد الا ولا بد لها من رئيس برأسها ليجمع شملها ويحفظ نظام امرها ويراعي تصرف احوالها ويروم على الانتشار جماعتها ويمنع من الفساد صلاحها وذلك ان الرئيس ايضاً لا بد له من اصل عليها يبني عليه امره ويحكم به بينهم وعلى ذلك الامر يحفظ نظامهم ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة اخواننا والحكم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيساً على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الامر والنهي » .

ان العقل الفعّال يشكّل بالاعتقادات الاسماعيلية الموجود الاول ويقابله في عالم الدين الناطق ويشكّل الامام مركز النفس الكليّة او المنبعث الاول وان الناطق يظل محافظاً على هذا المركز وقائماً فيه الى حين موته وعندئذٍ ينتقل هذا المنصب الى الوصي صاحب المركز الثاني بوجود الناطق ، وهنا نرى اخوان الصفا، يدعون الى هذا الاعتقاد بهذا الامام أو هذا الرئيس الذي يعمل بوظيفة العقل .

وجاء الداعي الاسماعيلي اليمني « الحسين بن علي بن الوليد » في رسالته (المبدأ والمعاد) يؤيد هذا الاعتقاد بقوله[2] :

« يجب ان يعتقد ان النبي محمد « صلعم » افضل عقول عالم الطبيعة واشرف عالم الطبيعة وأشرف حدود عالم الدين وان المعجزات التي كان يظهرها امير المؤمنين هي من تأييد العقل الأول له وانما لم تصل اليه الا بوساطة النبي ومادته له لأنه حده ومطه ورقيه الى تلك المرتبة ومستخلفه بعده في امته وهو حجته في حياته وكانت رتبة النبي رتبة العقل السابق في وقته ورتبة امير المؤمنين في الدين رتبة الانبعاث الاول في عالمه والنبي مثل الذكر في الدين وأمير المؤمنين معه مثل الأنثى القابلة منه والنبي مثل السماء وأمير المؤمنين معه مثل الأرض ، فلما انتقل النبي « صلعم » صار امير المؤمنين بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول وحجته مقام المنبعث الأول والذي يجب ان يعتقد انه قد صار النبي وأمير المؤمنين في منزلة واحدة لا فضل لأحد منها على الآخر بل قد تساويا كما قال النبي : « انا وانت يا علي كهاتين » وجمع بين اصبعيه المسبحتين في يديه اليمنى واليسرى وقال لا اقول كهاتين وجمع بين المسبحة والوسطى وقد سبقت احداهما الأخرى فمن اعتقد في احدهما انه افضل من الآخر فقد غلا فيه وقصّر في الثاني فلا تعتقد الّا هذا » .

---

١) رسائل اخوان الصفا، ج ٤ ص ١٨١

٢) رسالة المبدأ والمعاد ص ٣٦ ، حقق هذه الرسالة عارف تامر وضمنها الى كتاب (ثلاث رسائل اسماعيلية) من منشورات المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية الاسلامية بطهران

وجاء أيضاً[١] :

« واعلم بأن الناس اشخاص لهذا الانسان المطلق وهو الذي اشرنا اليه انه خليفة الله في ارضه منذ يوم خلق آدم ابو البشر الى يوم القيامة الكبرى وهي النفس الكلية الانسانية الموجودة في كل اشخاص الناس كما ذكر جل ثناؤه بقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » واعلم يا اخي ايدك الله بروح منه بأن هذا الانسان المطلق الذي قلنا هو خليفة الله في ارضه وهو مطبوع على قبول جميع الأخلاق البشرية وجميع العلوم الانسانية والصنائع الحكمية هو موجود في كل وقت وزمان » .

هذه اشارة تؤكد ان هذا الرئيس المطلق الذي هو الامام له مقام في عالم الدين كمقام النفس الكلية التي تقبل صور الموجودات والصنائع الحكمية في عالم الابداع وان هذا الرئيس المطلق يقوم بوظيفة العقل الفعّال بعد زوال الناطق من عالم الكون والفساد ، وعلى رأي اخوان الصفاء ان صاحب هذا المركز موجود في كل عصر وزمان كما هو الحال لدى الاسماعيلية .

وجاء أيضاً[٢] :

« فهكذا ينبغي لمن حصلت عنده هذه الرسائل والرسالة لا يضيعها بوضعها في غير اهلها وبذلها لمن يرغب فيها ولا يطلبها بمنعها عن مستحقها وصرفها عن مستوجبها . . . الخ » .

هنا اشارة الى الرسائل التي تؤلف أربعة أجزاء . والى الرسالة الجامعة وقد يكون هذا البيان أبلغ وأوضح مقال نوجهه لكل من يقول ان الرسالة الجامعة هي من وضع « المجريطي » .

وجاء أيضاً[٣] :

« وهذه الرسالة ايها الأخ الفاضل ادام الله تأييدك يجب لك وعليك ان تصونها كل الصيانة فانها امانة مؤداة اليك وانت المطالب بحفظها وصيانتها الا عن اهلها وانا آخذ عليك فيها عهد الله المأخوذ على اول مبدع ابدعه وجعله اصلاً لخلقه » .

هذه دعوة الى الستر والتقية التي تقول فيها الاسماعيلية ، والى التأكيد بالمحافظة على الرسالة « الجامعة » والمطالبة بعدم تسربها الى الاعداء في ذلك العهد الشديد ، وان قضية كتم أسرار الكتب الاسماعيلية العقائدية الا عن

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٢٣٦ .
٢) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٢٠
٣) الرسالة الجامعة ج ١ ص ١٢

مستحقيها كانت من أهم الواجبات الدينية، والحقيقة اني لم أعثر على رسالة أو كتاب اسماعيلي الّا وفيه التحذير وأخذ العهد والميثاق على قرائه من أبناء الدعوة بعدم التفريط به وأباحة أسراره وأذاعة أخباره .

وجاء أيضاً[1] :

« وقد قلنا لك في رسالة كيفية الدعوة ان لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا ولا يعلمها الناس الّا من قبلنا ولا يتعلم قراءتها الّا من علّمناه ولا يعرف صور حروفها الّا من عرّفناه وهي صور الموجودات بما عليه الآن ظاهرة للحواس مرئية للناس وهي آيات بيّنات هم عنها معرضون فيها حركات الأفلاك الدائرات والكواكب السيارات واركان الأمهات وفنون اشكال النبات وعجائب هياكل الحيوانات ولنا علم لا يشاركنا فيه غيرنا ولا يفهمه سوانا وهو معرفة جواهر النفوس ومراتب انتقالاتها واستيلاء بعضها على بعض ومريان قواها وتأثيرات افعالها في الأجرام العالية السماوية والأجساد السفلية الأرضية والأركان والأمهات والحيوان والنبات وعالم الانسانية والأشخاص البشرية وما يوجد فيهم من الطبقات ومراتبهم في الدرجات من الأنبياء والحكماء والملوك والرؤساء وأتباعهم وغيرهم ممن دونهم حتى ينتهي الى آخر طبقات الناس وقد اقتنا لكل طائفة من طوائف الامم « الذين عمّتهم دعوة الأنبياء عليهم السلام » قوماً يدعونهم الى رأينا « ويدلون علينا ويبرّفونهم بقدومنا » ويعدونهم بظهور امرنا وخروج « مهدينا » وقيام قيامتنا وطلوع شمسنا وخروجنا من كهفنا فاذا كان كذلك فيجب الآن ان نأخذ في بناء المدينة التي نلم شملنا وتجمع جملتنا وتتخذها دارنا ونعمل فيها قرارنا ومن استجاب الينا وطرا بأمرنا علينا وقد وصفنا حالك وعرفناك كيفية بنائها ولكن نكشف لك هنا عن حقيقة ذلك لتعلمه مبيّناً ان شاء الله » .

ان اخوان الصفاء في هذا الفصل يكشفون الستار الى حد ما عن أمر يشكل ناحية هامة باعتقاداتهم الامامية كقولهم : « ان لهم كتباً لا يمكن حلّ رموزها الصعبة أو الوصول الى معرفتها الا بواسطة اخوان الصفاء أنفسهم الذين هم المعلمين والرؤساء لهذه الدعوة » وأن على كل من يرغب بدراسة شؤون دعوتهم دراسة تامة أن يدرك بأن الاسماعيلية دعوة مرتبة ترتيباً دقيقاً لا يعرفها الّا من استجاب لها وبشّر بها، ثم نراهم أخيراً وبهذا الفصل تماماً ينتهون الى التبشير بامامهم المنتظر كعادتهم مخاطبين اتباعهم « أهل الخير » بامر (مهديهم) الذي هو (محمد المهدي بالله) آخر الائمة المستورين ، وهذا المهدي قد خرج من

---

١) الرسالة الجامعة ج ٢ ص ٣٧١

كهف الستر والتقية في « سلمية - سوريا » التي شهدت استتار ثلاثة أئمة قبل المهدي وهم عبدالله وأحمد والحسين ، وأن المهدي هذا قد ذهب الى المغرب ليؤسس الدولة الفاطمية (والمغرب) بنظر اخوان الصفا. هي (المدينة الفاضلة) او مدينة (أهل الخير) ، وهنا لا بد لنا من القول بان اخوان الصفا . كما يظهر واضحاً جلياً كانوا يمهدون السبيل لبناء دولتهم الفاطمية بناء متيناً راسخاً وتأسيس دعائمها وسنّ دستورها على أحسن نظم وأمتن قواعد .

وجاء أيضاً[1] :

« واعلم ان الله لم يقدر للسادس من رسله ان يكون له من عقبه ولد ذكر لصلبه يرث مقامه وينوب في الأمة من بعده منابه ولم يكن له ولد يخلفه من بعده ومات اولاده في حياته فسقطوا عن مرتبته والترقي الى امره بالموت الطبيعي وكانت المنزلة مقدرة لمن قدرها الله تعالى له من اولاده في الدين الظاهر وهو اول المسارعين الى دعوته وكانت له ابنة من بعده فيما جاء من الخبر اربعين يوماً ثم انتقلت الى ما اعده الله تعالى لها من الكرامة والمنزلة ولحقت بابيها عليه السلام ، كذلك السابع قدر له ان يكون له ولد ولكنه لا يبلغ منزلته ولا يرتقي الى درجته وهو ثامن فيكون المولود فيه ساقطاً عن رتبة البلاغ كذلك ما دامت ايام الشهر حتى يعود في مكان التاسع فيكون الوضع وتمام الخلقة وكون النشأة الثانية فتبين هذا الأمر وقف على حقيقة هذا السر » .

هنا نرى اخوان الصفا. يتكلمون عن الناطق السادس محمد (صلعم) مشيرين الى الخمسة نطقاء. الذين سبقوه وهم : ادم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى . ثم يبينون ان هذا الناطق السادس قد رزق جملة اولاد من الجسمانيين ولكنهم ماتوا في حياته ولكنه رزق اخيراً بنتاً هي فاطمة وقد زوجت الى ولد له روحاني كان قد استجاب لدعوته قبل الجميع والمقصود بهذا الولد « علي بن ابي طالب » ثم ان البنت بعد وفاته بأربعين ليلة قد لحقت به وهذا دليل كما قلنا على انها حيناً تسلّمت وزوجها مركز والدها بعد وفاته. شرعت بترتيب الدعوة وعندما اتمت ترتيبها وجعلتها مؤلفة من اربعين حداً تركت هذه الدنيا ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فالمقصود بالسابع الامام « القائم » الذي يأتي بآخر الدور ليتمم البناء الذي قام ببناءه النطقاء الستة الذين جاءوا قبله ، وهذا القائم

---

١) الرسالة الجامعة ج ٤ ص ٣٦٧

لا يرث دعوته ولده الذي هو صاحب الرتبة الثامنة بل يموت هذا الولد وتسقط عنه رتبة البلاغ وتكون القوة الفعالة للتاسع الذي يأتي بعده وهو صاحب النشأة الثانية .

وجاء أيضاً[١] :

« قال الله تعالى : حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة يعني بذلك الناطق السابع صاحب الكشف القائم من هذا الوجه اذا بلغ اشده واكتمل امره وانى اليه الجميع عندما يظهر بالقوة والفعل معاً ويبلغ الاربعين عاماً يعني يتيسر له اربعين حداً وهي التي تظهر مع قائم الزمان لذكره السلام ولا بد لكل ناطق دور من اربعين حداً على التمام كما قال الله تعالى عن موسى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين يوماً فهذه هي الجزئيات واما الأربعين سنة فهي حجاب المراتب العالية والدرجات الشاملة وهم رفقاء الإمام الجليل صلوات الله عليهم اجمعين ، ونعود الى الكلام عن المعنى في قوله : « حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال : ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وان اعمل صالحاً ترضاه واصلح في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » .

فمعنى قوله : اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ يعني من الأصلين الأولين المحضين المشرقين المتصلين بالكاف والنون وهي النعمة الابدية السرمدية المتصلة بنفس هذه الصورة الألفية وان اعمل صالحاً ترضاه هو بتسليمي امري لصاحب الرتبة القائم مقامه بعده وقال واني تبت اليك واني من المسلمين يعني بذلك اني اتصلت اليك بالوسائط الروحانية والصورة الحقيقية التي تعود بها النفس الى ربها راضية مرضية واني من المسلمين اي سلمت مقاليد الحكمة المستورة الى اهلها الذين هم قائمين بها وحافظين لأسرارها الكاتبين الذين يطوون الظاهر عن النفوس الباطنة وما تصوّر في ذاتها فهو منقوش بها شاهدتها في جوهريتها لأنهم أصحاب الملأ الأعلى والذوات المنكرة عندهم ذات واحدة مجموعة في وسط اللوح المحفوظ والجميع كائن من قلم الله الأعظم والقوة الأزلية ظاهرة عنه متحدة بالجوهر البسيط ومشرقة على اللوح المحفوظ بالعناية الالهية والقدرة الربانية اشراقاً بالقوة فاذا انتقشت باللوح صار تاماً بالفعل .

هذا الفصل جاء بكتاب فلسفي من كتب الدعوة الاسماعيلية وهو لداع

١) الرسالة الكافية = ص ٩٤ ضمّت هذه الرسالة الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

اسماعيلي كبير ويظهر ان جميع ما جاء فيه لا يخرج عمّا جاء برسائل اخوان الصفا. وجامعتهم وخاصة ما كان متعلقاً بالحدود الاربعين المذكورين ووجودهم ومراكزهم.

وننتقل بعد كل هذا الى بحث التأويل الباطني في رسائل اخوان الصفاء ونسبته الى الاعتقادات الاسماعيلية فنقول:

يبدو جلياً وواضحاً ان علم التأويل يحتل المركز الرئيسي الهام في رسائل اخوان الصفاء وفي الفلسفة الاسماعيلية ويعتبر من الدعائم المتينة التي ترتكز عليها معتقداتها أو على الاصح من العلوم الفلسفية العميقة ذات الاثر الفكري البارز التي كثيراً ما تتطلّب الدراسة المتواصلة والاجتهاد المستمر للوصول الى كنه الاشيا. والوقوف على الاصول المجردة، فكلمة تأويل بمناها اللغوي هي كما جاء بمعاجم اللغة وخاصة «المحيط» الذي يفسرها هكذا:

«أوّل الكلام تأويلا وتأوّله اي دبّره وقدّره وفسّره». او هي علم باطن القرآن والاستدلال بالمحسوسات على المعقولات ونظرية موازنة الشرح للمعقول، وهذا العلم اقتصرت معرفته والتكلم عن اصوله وفروعه على الراسخين بالعلم الذين هم «الائمة» الموصوفون بورثة الأنبياء وأصحاب الشجرة الكونية الثابتة الأصلية، وقد جاء بالحديث عن هؤلاء ما معناه قولهم: ان للقرآن الكريم تأويلاً باطنياً لا يمكن ان يصل الى معرفته او ينهل من نبعه الّا من وصل الى معرفة ماهية الأشياء ووقف على علم الحقيقة التي اتى بها النبي محمد «صلعم» وأهل بيته وذلك بدليل الآية القرآنية الكريمة «وما يعلم تأويله الّا الله والراسخون في العلم» وقد جاء بالكتب الاسماعيلية ايضاً ان الظاهر هو المثل والباطن هو الممثول، وقالوا ان الانسان مثل والنفس ممثول والدنيا مثل والآخرة ممثول وان هذه الاعلام التي خلقها الله تعالى وجعلها قوائم الحياة من شمس وقمر ونجوم لها ذوات قائمة تحل منها محل المثل وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الامثال. ومها يكن من أمر فان هنالك معان مستترة تحت الألفاظ وأمور محجوبة وراء حجب كثيفة لا يجوز المرور بها مرور الكرام فهي قوام الدين وخلاصة عقيدة النجاة لأن الباري الكريم سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجليّة جواهر الأجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنة الخفيّة جواهر النفوس وحالاتها واليك ما جاء برسائل اخوان الصفاء في هذا العلم[1].

واعلم يا اخي ان من حجّ بقلب ساه ونفس لاهية بلا علم ولا بصيرة ورأى تلك المناسك

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٢٠

وسننها ولم يعقل معانيها ولا درى ما الغرض منها ولا عرف شيئاً من اغراضها المقصورة بها رجع من هناك بقلب غافل ونفس شاكة وفكر متحير لأنه متى رآها ولم يدر معانيها ولا عرف اغراضها تخيل له عند ذلك انما كلعب الصبيان من رمي الحصى والسعي بين الصفا والمروة والأحرام والتلبية والطواف والعمرة وما شاكلها من السنن والفرائض » .

الاعتقادات الاسماعيلية جاءت جميعها تقول ان كل ظاهر له باطن ولا يمكن لظاهر ان يكون بلا باطن وان اخوان الصفا. هنا عندما يأتون على ذكر أركان الحج يقولون ان لها استدلالات باطنية لا يفهمها الّا من رضع لبان الدعوة ونأتي الآن على تفسير جزء منها والقاء نظرة عابرة عليها فمثلاً نراهم يقولون عند لمس الحجر انها تمثل العهد والميثاق واستلامها كالبيعة التي يقوم بها المؤمن المستجيب لأمام زمانه او رئيس دعوته الروحية ، والآذان في الحج تأويله دعوة الامام أو حجته المستجيبين الى الدخول بدعوته والاستظلال بظلها ، والأمامة مثل على الناطق والحج حجّان حجّ ظاهر وحجّ باطن ، فاما الظاهر فهو المعروف من الخروج الى مكة وتأدية ما وجب معها من مناسك الحج من مفروضها ومسنونها والباطن من الحج على وجهين احدهما الهجرة من الوطن الى وطن الرسول في عصرهما مع معرفة صاحبها ، والوجه الثاني في الباطن هو معرفة الأمام في كل عصر وزمان .

والمتعارف عليه ان الطواف بالبيت سبعة اشواط والسعي بين الصفا والمروة سبع مرات ورمي كل عقبة من عقبات الجمار بسبع حصيات كل هذا بين معروف والذي نذكره من ذلك مما نحتاج الى معرفته ان الحاج المتمتع بالعمرة الى الحج والقارن لها يقف في سبعة مواضع ، ويحرم من ميقات ويطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويخرج الى مُنى ويقف بعرفات ويفيض الى مزدلفة ويمر على العقاب ليرمي الجمار ، ومنه ايضاً أن الحاج اذا أحرم كان ممنوعاً من سبعة أشياء. من الصيد والجماع والجدال ولبس مخيط الثياب وأخذ الشعر وتقليم الاظفار واستعمال الطيب،وأما السنن الاثنى عشر فأنه يحرم بعقب صلاة مكتوبة أو نافلة ويتجرد من مخيط الثياب فيلبس احرامين ولا يغطي رأسه ولا وجهه ويهلل بالتلبية والاهلال رفع الصوت ويقول الأربع كلمات التي قالها رسول الله (صلعم) فهي سنة وما زاد على ذلك فهو مباح والأربع كلمات : لبيك اللهم

لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك . فاذا رأى بيوت مكة قطع التلبية وكبّر وهلّل ويدخل من باب بني شيبة ويكون أول فعله تقبيل الحجر ويكون طوافه عن الجانب الأيمن والبيت عن يساره ويستلم الركن كلما مرّ به واستلامه تقبيله أو وضع اليد عليه أو الأشارة اليه ويفيض عليه من ماء بئر زمزم ويشرب منها ويطوف من وراء الحجر ولا يدخله .

هذه آراء اخوان الصفاء وخلان الوفاء بالتأويل الباطني عرضنا اليها بايجاز وقابلناها مع التأويل الأسماعيلي الذي لا يختلف عن آراء اخوان الصفاء فحسب بل يتفق معهم اتفاقاً قد يبدو تاماً لا غبار عليه .

والنستمع بعد ذلك الى رأي أخوان الصفاء في الخلافة وما يقولون بحق (علي بن أبي طالب) وهم يرمزون في هذه القصة الى الحوادث التي وقعت بعد وفاة النبي محمد (صلعم) ويذكرون كيف أبعد (عليّ) عن الخلافة ؟ وكيف ولي غيره بدون حق وقد ضمّنوا القصة رموزاً يجب الانتباه اليها وكلها آراء اسماعيلية لا شك فيها ولا ريب .

وهذا ما جاء[1] :

« مثل الغربان والبزاة فيما قيل من امثال الهند ان الغربان كان عليهم ملك منهم وكان جم رحيماً واليهم محسناً وان ذلك الغراب مات واختلفوا من جهة من يملكونه عليهم من بعده وتحاسدوا وخافوا ان تقع بينهم العداوة فقال بعضهم لبعض تعالوا نجتهد في الرأي ونجمع العلماء وأهل الفضل فينا ونعقد مجلساً للمشاورة في من يصلح لهذا الأمر وفي من ينبغي ان يكون ملكاً علينا فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا لا نرضى بأحد من اهل الملك الذي كان فينا مخافة ان يعتقد ويظن انما الملك انما ناله وارثاً من ابيه واقاربه فيسومنا سوء العذاب واذا كنا نحن نتولى اقامة من نقيمه كنا نحن اصحاب المنة عليه والاحسان اليه ، قال احدهم واذا كان الأمر على هذا فعليكم بأهل الورع والدين فأن صاحب الورع والدين لا يكاد يهجم على الأمور الدنيوية ولا يرغب في الدنيا .

« فقالوا له : كيف لنا بذلك ؟ فقال لهم : طوفوا واطلبوا من هذه صفته فأنكم ان نظفروا به قدموه وكان بالقرب منهم باز قد كبر وخرف وضعفت قوته عن الصيد وانحل جسمه وتناثر ريشه من قلة المعيشة وتعذر القوة فبلغه خبر الغربان وما اجمعوا عليه فبرز من

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٣

وكره الى حيث عرم عليه واقبل يكثر التهليل والتسبيح ويظهر التخشع والتورع فأقبلت الطيور تطير على رأسه فلا يولع بها ولا يثني اليها فلما رأته الغربان على تلك الحال ظنوا انه يفعل ذلك صلاحاً وديانة فاجتمع بعضهم الى بعض وقالوا ما نرى فى جماعة الطيور مثل هذا البازي وما هو عليه من الديانة والزهد فهلمّوا بنا نوله علينا فأتوا اليه واخبروه فيما عزموا عليه فانقبض من ذلك وأراهم من نفسه الزهادة فيما عزموا عليه فلم يزالوا به حتى قبل منهم فصار خليفةً فيهم وملكاً عليهم فقال في نفسه كنتم تحذرون من البلاء وما اراه الا وقد وقع بكم فلمّا تمكن منهم وقوي عليهم بما كانوا يأتون من الرزق ويحملون له من الاجرة على ذلك قوي جسمه ونبت ريشه وعادت اليه صحته اقبل يخرج كل يوم عدة من الغربان فيخرج عيونها ويأكل ادمغتها ويطرح ما سوى ذلك من أجسادها فأقام فيها مدة فلما دنت وفاته اعتمد على بعض ابناء جنسه فملّكه عليهم فكان اشد منه واعظم بليّة واكبر رزيه فقالت الغربان بعضها لبعض بئس ما صنعنا بأنفسنا وقد اخطأنا فندموا من حيث لم تنفعهم الندامة وكان ذلك سبب التلف والمنازعة » .

ولنذكر أيضاً قصة ثانية وردت في رسائل أخوان الصفاء وفيها رموز تدل على حوادث معينة معروفة وقعت بعد محمد (صلعم) وهذه هي[1] :

« ان ثعالب خرجت في طلب ما تأكل فرأت عجلاً ميتاً ففرحت به وقلن قد وجدن ما نعيش به دهراً فرّ بهن ذئب فقلن هذا ذئب قد جاءنا وهو قوي امين . . . وقال لهم ستجدون ما تحبون وتولّى وقسّم في ذلك اليوم بعض ذلك الجمل بينهم بالعدل فلما كان الليل تفكّر في نفسه فقال ان في قسمة هذا الجمل عجزاً وسخافة رأي .

« فلمّا كان من الغداة اتته جماعة الثعالب وقلن يا ابا جعدة انّا جعلناك اميراً علينا حتى لا يظلم بعضنا بعضاً وعدلت بيننا في اول ولايتك ثم اتيناك امس فوضعت الينا النصف مما دفعت في اليوم الأول واغلظت القول علينا فرفعن الى الأسد وجعلنا له الجمل جملاً واغتاظ الأسد وامرها ان تسير بين يديه فأتوه فوجدوه باركاً على جثة الجمل فقبض الأسد عليه فقطّعه قطعة قطعة ومزّقه » .

وجاء أيضاً[2] :

« والذين هم بغير هذه الصفة من الأنبياء والأئمة والتابعين لهم بالاحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم خلفاء الله تعالى التابعون لأمره وهم صلاح العالم وربما كانوا ظاهرين بالعيان موجودين بالمكان في دور الكشف وبالضد من ذلك في دور الستر غير انهم في دور الستر لا يكونوا مفقودي الوجه جملة من اعدائهم فأمّا اوليائهم فيعرفون مواضعهم ومن اراد منهم قصدهم تمكن منه ولو كان غير ذلك كان

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٥

٢) رسائل الصفاء ج ٤ ص ٤٠٦

منه خلو الزمان منه الامام الذي هو حجة الله على خلقه وهو تعالى لا يرفع حجته ولا يقطع الحبل الممدود بينه وبين عباده فهم اوتاد الله وهم الخلفاء بالحقيقة في الدورين جميعاً ، ففي دور الكشف يظهر ملكهم في الأجسام والأرواح وفي دور الستر يجري امرهم في الأنفس والعقول واصحاب المملكة العقلية والخلافة الجسمانية » .

ان اخوان الصفاء هنا أيضاً يعرّفون اتباعهم بدوري الكشف والستر ، ونراهم أيضاً يرغبونهم بان فعل الامام في دور الستر لا يقل عن فعله في دور الكشف فلا مجال لليأس من دورهم الستري الذي كانوا موجودين فيه فإن فعله قائم في النفوس والعقول ومن كان فعله قائماً في هاتين القوتين فانه يكون أقوى كثيراً ممن يكون قائماً في عالم الجسد .

وجاء أيضاً[1] :

« وقد ذكرت الحكماء ان العلم موجود قائم بسبعة اشخاص فاضلة كائنة في سبعة اوقات يظهر مع كل واحد منهم من روح القدس ما يكون به الاخبار عن الأشياء كلها وان كل واحد منهم اذا ظهر في زمانه أقام لأبلاغ رسالته وبيان موعظته وتعليم آياته وصفات معجزاته اثني عشر رجلاً من اجلة اصحابه واقاربه وأهل بيته ليبلغوا عنه ما ارسل به الى امته ويبينوه على اظهار دعوته ثم ينبث كل واحد منهم رجال عدة لا يحصى عددهم الّا الله عزّ وجل كما ينبث منه فعل روحانيات الكواكب السبعة في الاثني عشر برجاً من الملائكة والجنود مما يبدو عنهم ومنهم من الأفعال والأعمال والأقوال والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير والعبادة وما يحدث من القوى السبعة الموجودة في الجسم الانساني وما يخرج من انفاسه من النفث وما يبدو من حواسه واعماله وما يترتب من صنائعه وكلامه والفاظه مما لا يعلمه الّا الله تعالى وما يتكوّن في الأقاليم السبعة والجزائر الاثني عشر لذلك الشخص الزماني موجود بسبعة ايام واثني عشر شهراً والسنة جامعة لها وما يتفرع منها من الساعات والدقائق والدرجات مما يعرفه اصحاب النجوم ولا يخفى على اهل العالم . وكذلك الرئيس السابع الآتي في آخر الزمان سيد (اخوان الصفاء) هو المحيط بعلوم من تقدمه من الرؤساء الستة صلوات الله عليهم وبظهوره يكون ظهور السادات كلها » .

ان هذا النص يذكر بالتعاليم الفلسفية الأسماعيلية وبالحقيقة انه يعبر عن حقائق ثابتة لهذه الفلسفة الباطنية ، فانني لم أطلع على كتاب من كتب الدعوة الاسماعيلية الّا ورأيت هذه التعاليم تتوجّه وتزيّن صفحاته وتحتل المكان البارز فيه ، وهذه التعاليم تقول بأن عالم الدين او الدعوة الاسماعيلية الامامية تقوم على اثنى عشر داع كل داع يرأس جزيرة وعدد هذه الجزر اثني عشر كعدد

١) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٦٣٢

بروج السما. او كعدد اضلاع الانسان أو كعدد الثقوب الموجودة في الجسم أو كالاثني عشر شهرًا الذين تتألف منهم السنة أو كالاثني عشر ساعة التي يتألف منها الليل والنهار وكل هذا مطابقاً لما جاء بالآية الكريمة القائلة : « وضرب موسى بعصاه الارض فتفجّر منها اثني عشر عيناً ... » الخ . . . ثم ان العدد السابع واليه تنتسب الاسماعيلية التي عرفت بانها الفرقة (السبعية) ومن جهة اخرى يمكننا التأكيد ان كلمة سابع تطبّق فلسفياً كما يلي[1] :

قالوا : « ان الله سبحانه وتعالى خلق الكون بستة ايام ثم استوى على العرش باليوم السابع، وان عدد السموات سبع والكواكب النيرات سبع والأقاليم الارضية سبع، والبحار سبع، كما وان للنفس الكلية سبع نفوس جزئية ثم سبع قوى روحانية كما وان الموجودات التي تتألف منها دعائم الطبيعة عددهم سبع وان ايام الاسبوع سبع وعدد الأنبياء الناطقين بالرسالات ستة وقائمهم سبع وأسسهم ستة واساس القائم يكون المجموع سبع، وان الادراكات العقلية مقسمة الى سبع وفي جسم الانسان سبع جواهر يقابلها سبع قوى مستورة عليها قوام الجسم وان اركان الدين الاسلامي قامت على سبع ايضاً » .

ولنسمع الى رأي الداعي الاجل « الحسين بن علي بن الوليد » يفصّل مراتب الدعوة فيقول[2] :

« وأقام هذا الشخص الفاضل « اي الامام » بحضرته اثني عشر شخصاً هم حجج الليل وهم افضل السبعة والشرون منهم اربعة يسمون « الحُرم » وهم افضل من الثانية ومن الاربعة واحد هو افضلهم وهو « الباب » لذلك المقام الكريم ونصب بين يديه مع داعيه في جزيرته مكاسرًا ومأذونًا مطلقاً وداعياً محصورًا وهذه المراتب محفوظة لا تنقطع مع كل ناطق في دوره ووصي في عصره وامام في زمانه » .

وننتقل بعد ايراد هذا البيان لنتكلم عن أهم رسالة في رسائل اخوان الصفا. ولا بد من الاشارة والقول بان ما جاء فيها من الرموز والاشارات والتعابير كان على لسان الحيوانات وقد مرّت مرور الكرام على كل الـذين عالجوا موضوع رسائل اخوان الصفا. فلم نرَ أحدًا منهم فسَّرها لنا أو ذكر الغاية من وضعها ونعني بهذه الرسالة رسالة « الحيوانات » فقد جاء فيها ما يلي[3] :

١) راجع مقدمة « اربع رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .
٢) رسالة المبدأ والمعاد ص ٣٢
٣) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٤٤٧

« وكذلك فعلت الأمة الضالة والفئة الطاغية والعصبة الباغية من ائمة الضلال الداعية الى النار سموا اولياء الله وأهل بيت صفوته الذين اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا ان يسعوا في الأرض بالصلاح العام والنفع التام بما استذلوهم به من الذلة والهوان وألجموهم عن النطق بالحكمة والكلام بما فيه صلاح الأمة بالخوف الذي لحقهم والامتحان الذي شملهم منهم كما تلجم البهائم بلجم الحديد الثقال والأرسان لتقاد حيث ما قيدت وتمتنع من الكلام بما ارادت فهي تشكو الى ربها العالم بسرائرها بقلوب نقية وأرواح سليمة ونيّات جميلة عسى ان يرحمها ويفرج عنها ويزيل كربها ويسمع دعاءها ويقصدها ويأخذ لها بحقها ممن ظلمها وتعدّى عليها وهو ولي اجابتها ومعونتها ونصرها اذا قام قائمها وانتبه نائمها الذي طال نومه صبرًا واحتسابًا على ما ناله في جنب الله وطاعته حتى يأذن له ربه ويؤيده بملائكته فعند ذلك يقوم فيأخذ بحقه وينجز له وعده ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا ويفك البهائم الأسيرة والأشخاص الذليلة من أسر العبودية وقيد المملكة ورق الذل ويجعل الذين اهانوهم في مثل ما كانوا فيه جزاء بما كانوا يعملون ويحق الله الحق بكلماته ويظهر دعوة اخوان الصفاء وخلان الوفاء ويجمع شملهم بظهور النفس الزكية والروح الطاهرة المطمئنة فعند ذلك يطهّر الله الارض من انجاس الجاهلية » .

وجاء أيضًا :

« الحيوان ملزوم بخدمة الانسان طوعًا وكرهًا فهو متصرف فيه وحاكم عليه لتصرف العالم العلوي في العالم السفلي » .

يظهر من هذا الفصل ان اخوان الصفا. يقرون بالفلسفة القائلة بان العالم العلوي يتحكم في العالم السفلي ، وأن مثوله هو تحكم الانسان بالحيوان وتحكم أهل الظاهر باهل الباطن وتحكم أهل الشر باهل الخير وهذا جميعه مطابق لما قاله أحد فلاسفة الاسماعيلية :

« عند بدء الخليقة وبعد وفاة آدم سيد البشر تشاجر ولداه على مملكته فكان الاول هابيل ويمثل « الخير » والثاني قابيل ويمثل « الشر » فتشاجر الخير والشر فكان ان صرع الشر الخير وهكذا ظل مصروعًا وسيظل الى انتهاء الدور وابتداء دور الكشف وظهور قائم الزمان وقد جاء رسائل اخوان الصفاء ما يثبت هذا القول عن الجن فذكر انهم مقسمين الى قسمين محمودين ومذمومين ، فالمحمودين هم اصحاب العلوم العقلية والآراء الفلسفية والمذاهب البرهانية وهم الحكماء الالهيون والعلماء الربانيون وهم الذين آمنوا بالرسل المبعوثين من الانس واستجابوا للنطقاء المؤيدين بالوحي واما المذمومون فهم المفسدون للشرائع المعطلون لأحكامها الناكثون عن موجباتها وجاء ايضًا ما يؤيد هذا القول ويثبت ان الحيوانات هم مثل على اهل الدعوة المأسورين : وهذا هو القول :

« البهائم الأليفة هي الأسيرة في ايدي اصحاب الرأي والقياس والعمل والالتباس التي ليس بأيديها حول ولا طول كالغنم والبقر وما شاكلها » .

مضافاً الى ذلك أن اخوان الصفا. يقولون أن اهل الظاهر هم قوم بعيدون عن العلم والحكمة ويذكرون انهم تحكموا باتباع اهل بيت الرسول المطهرين وألجموهم عن النطق بالحكمة والعلم ولقد يقولون انه قد طال الوقت على ستر الامام لذلك فأن المؤمنين الذين يطلقون اخوان الصفا. عليهم اسم الحيوانات الاليفة قد رفعوا صوتهم عالياً بالدعا. لله ان يفرج عنهم بظهور الامام الذي يأخذ الحق وينفك البهائم من الاسر ثم يجعل أعدائهم مكانهم وعندئذ تظهر دعوة اخوان الصفا. ويقوم رئيس مدينة أهل الخير (الامام) وتتطهّر الارض من انجاس الجاهلية .

ولقد جا. برسائل اخوان الصفا. ما يثبت ذلك :

« الأنس طائفة منهم اصحاب ظواهر الشرائع القائمون فيها الزيا. وطائفة منهم اصحاب الحقائق العقلية والديانات الشرعية النبوية » .

وجا. أيضاً :

« الجن فرقتين الفرقة المحمودة الطائعة لربها المنقادة لأمر خالقها المسبحة بالليل والنهار، اما المذموبون فهم الشياطين العاصين » .

وجا. أيضاً :

« عند بدء الخليقة توالدت ابناء بني آدم ثم سخروا الأنعام والبقر والغنم ... الخ وظل الأمر الى ان جاء محمد « صلعم » فأجابته طائفة من الجن وحسن اسلامها » .

هذا اعتراف صريح بان الجن هم أهل الدعوة المؤمنين الاخيار الفضلا. وهذه الآية الكريمة تؤيد ذلك : (وما خلقت الانس والجن الا ليعبدوني) .

وجا. أيضاً[1] :

« ثم انه وليّ على بني الجان ملك في جزيرة « صاغون » الى ان جاء مركب الى الساحل فخرج من فيه الى الجزيرة افرادها متآلفة بعضها مستأنسة غير متنافرة وهؤلا. القوم استوطنوا تلك الأرض واعجبوا بما فيها ثم انهم اخذوا يتعرضون للبهائم ولتلك الانعام يسخرونها ليركبوها ويحملوا عليها اثقالهم فنفرت منهم وهربت وذهبت الى ملك الجن فشكت اليه فارسل ملك الجن اليهم رسولاً ودعاهم الى حضرته فذهب اهل المركب وعددهم سبعين من بلدان شتى ثم اوصلهم الى مجلسه بعد ثلاثة ايام فقال لهم لماذا جئتم الى جزيرتنا

---

١) رسائل اخوان الصفا. ج ٣ « رسالة الحيوان » .

بدون دعوة ؟ فقال قائل منهم : سمعنا الكثير من الفضائل والمناقب فجئنا ليسمع كلامنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين المتكرين ثم بدأت المحاكمة بينهم » .

جزيرة « صاغون » على حد تعبير واعتقاد اخوان الصفا. هي مدينة « اهل الخير » التي ردد اخوان الصفا. ذكرها أكثر من مرة ، والبحر في التأويل الاسماعيلي الباطني هو العلم الامامي الحقيقي والسفينة هي الدعوة الامامية سواء اكانت ظاهرة أو مستورة وركاب السفينة هم أهل هذه الدعوة وقد جاء أن عددهم حينما غادروا بلدتهم وجاءوا الى صاغون سبعون رجلاً وهذا معناه ان هذه السفينة ضمت ممثلين عن الفرق الاسلامية الثلاثة والسبعين فرقة المذكورة بالحديث النبوي الشيق القائل :« ستنقسم أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة اثنتين وسبعين هالكة وواحدة ناجية » وبالحقيقة فأن أهل هذه السفينة عندما تاهوا في البحر وتقاذفتهم الامواج الصاخبة أي عندما ضلوا عن اتباع طريق الهدى والحق وتقاذفتهم امواج الضلال رمتهم الاقدار بجزيرة صاغون وهي مدينة (اهل الخير) او (البلدة الفاضلة) فوجدوا فيها على حد تعبيرهم كل شيء. على ما يرام وان اهالي هذه الجزيرة نفروا منهم لانهم مؤمنون وهم ضالون وذهبوا الى ملك الجن وملك الجن هو رئيس مدينتهم وسيد اخوان الصفا. فعرضوا الامر عليه وطلبوا اخراج أصحاب السفينة الضالة الذين أفسدوا عليهم حياتهم وتحكموا فيهم فطلبهم رئيس المدينة وعندما جاءوا اليه لم يسمح لهم بالدخول الّا بعد ثلاثة ايام ومعنى ذلك أنه لم يسمح لهم بالدخول الّا بعد أن انضمت اليهم الفرق الثلاثة من المسلمين تحقيقاً لمضمون الحديث المذكور وعندئذٍ بدأت المحاكمة بينهم وبين المؤمنين أصحاب مدينة (أهل الخير) اي الفرقة الناجية.

وجاء أيضاً[1] :

« قال صاحب العزيمة ارأيتم ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الانس في الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الأنس عليها بذرابة السنتها وجودة عبارتها وفصاحتها ، اترى ان تبقى هذه البهائم اسيرة في ايديهم ليسوموها سوء العذاب دائماً قال لا ولكن تصير هذه البهائم في الأسر والعبودية الى ان ينقضي دور القران ويستؤنف نشوء آخر ويأتي الله لها بالفرج والخلاص كما نجى آل اسرائيل من عذاب فرعون وكما نجى آل

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٩٨

داود من عذاب بخت نصر وكما نجى آل حمير من عذاب آل تبع وكما نجى آل ساسان من عذاب اليونان وكما نجى آل عمران من عذاب ازدشير .

« فأن ايام هذه الدنيا دول بين اهلها تدور باذن الله تعالى وسابق علمه ونفاذ مشيئته بوجبات احكام القرانات والأدوار في كل الف سنة مرة او في كل اثني عشر الف سنة كل او في كل سنة وثلاثين الف سنة مرة ، او في كل ثلاثمائة الف وستين الف سنة مرة او في مرة يوم مقداره خمسين الف سنة مرة فأعلم جميع ذلك » .

هذا المقطع جاء في آخر المحاكمة وفيه ان صاحب النزعة ملك الجن او رئيس الدعوة أو الحاكم أو الامام عندما رأى أن الانس وهم جماعة (أهل الظاهر) المخالفين للدعوة (الامامية) بذرابة ألسنتهم وجودة عبارتهم وفصاحتهم قد تمكنوا من التغلب على المؤمنين الطائعين أهل المدينة الفاضلة حكم أن يبقى المؤمنون تحت حكم هؤلاء. أي أن لا تقوم لهم دولة ما حتى يبزغ النشو. بظهور قائم الزمان كما جاء بالقرآن الكريم :

« يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين .

« ففي التأويل الأسماعيلي ان السماء هي الشريعة العائدة للناطق ، وتأويل الآية انه عند ظهور « القائم » السابع ستطوى جميع الشرائع وعددهم عدد السموات اي ستة شرائع وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد كما يطوى السجل ويضيف اليهم شريعته السابعة التي تلغي جميع ما قبلها وعندئذ يبدأ عهد جديد كما كان في اول بدء الخليقة » .

وبمعنى آخر :

« يوم تمر الجبال كمر السحاب

« فالجبال بالتأويل الأسماعيلي هم الدعاة ومرورهم هنا معناه يوم ظهور القائم السابع فيسرون للتبشير بظهوره كما يمر السحاب » .

وجاء أيضاً[1] :

« فقالت الجماعة حينئذ : صواباً ما رأيت ونعم ما أشرت فأرسلوا ستة انفار الى ستة اجناس من الحيوان وسايبها كانوا هم حضوراً من البهائم والانعام منها رسولاً الى الحشرات ورسولاً الى الطيور ورسولاً الى السباع ورسولاً الى الجوارح ورسولاً الى الهوام ورسولاً الى حيوان الماء » .

الرسل هنا على حد تعبير اخوان الصفا. هم النطقاء. اصحاب الشرائع الذين

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٢٠٢

جاء كل واحد منهم الى فرقة من البشر يبلغهم القوانين الالهية وهذا بالتأكيد لأن عددهم هنا حدّد بستة .

وجاء أيضاً[1] :

« ثم ان الملك نظر الى جماعة الأنس وهم وقوف نحو اثنين وسبعين رجلاً مختلفي الألوان » .

وهذا دليل قاطع على أن هؤلاء الجماعة هم الفرق الاسلامية التي اختلفت بعد النبي (صلعم) وعددهم أثنتين وسبعين والفرقة الناجية من اتباع الملك فصار عددهم ثلاثة وسبعين .

واخيراً هذا ما اتسع له المجال الآن من ايراد المصادر التاريخية والبيانات العلمية والفلسفية التي جاءت جميعها تؤكد علاقة اخوان الصفاء وخلان الوفاء بالاسماعيلية واعتبارهم من المؤسسين لهذه الدعوة الفلسفية ذات الرسالة الكبرى والحضارة العظمى ومهما يكن من شيء فإننا لو أردنا زيادة البيانات والاتيان على جميع ما جاء برسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة وجامعة الجامعة حول هذا الموضوع اذن لطال البحث وخرج عن نطاقه المألوف وشكله العام كبحث موجز وصار كتاباً جامعاً وهذا ما سوف نعمل على تحقيقه في المستقبل القريب باذن الله .. والله من وراء القصد .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٢٤٩

البراهين التقليدية على وجود الله

في الاسلام [1]

بقلم ماجد فخري

ظهرت سنة ١٩٣٦ دراسة هامة للبراهين الاسلامية على وجود الله للعلامة ونسنك Wensinck[2] . ولولا صدور بعض المصنّفات التي لم يتيّض للعلامة الكبير الاطّلاع عليها ، منذ ذلك التاريخ ، لما تجرّأنا أن نتقدم على تحرير هذه الدراسة الجديدة .

ينبغي أن يمهّد الباحث ، عندنا ، للفحص عن الادلة على وجود الله بمعالجة القضية التالية : هل التدليل على وجود الله ممكن أصلاً ؟ ونحن نجد كبار المؤلفين المدرسيين في العصور الوسطى كالقديس توما (١٢٢٥ — ١٢٧٤) يستهلّون براهينهم على وجود الله بمعالجة هذه المسألة[3] . ومع أن ونسنك قد طرق بعض وجوه مشكلة المعرفة في كتابه المشهور:(العقيدة الاسلامية ، (Muslim Creed) فهو لا يتعرّض لهذه المسألة في الدراسة المشار اليها ، إلا بصورة عابرة ، وذلك في معرض حديثه عن موقف الغزالي من مشكلة التدليل على وجود الله. ولكن هذه المسألة تستحق ، كما يتراءى لنا ، فوق ما أولاها المؤلف من العناية في تلك الاشارة المقتضبة .

يثير ابن رشد († ١١٩٨) في مقالتي (فصل المقال والكشف عن مناهج الادلة) هذه القضية ويعالجها معالجة مسهبة . أما في المقالة الاولى فهو يعرض لها من خلال مشكلة أوسع ، وهي : هل يتّفق الاسلوب البرهاني العقلي مع اسلوب الشرع النقلي ؟ ويجيب على ذلك بالايجاب . اذ « إن كان فعل الفلسفة

١) ظهر هذا المقال بالانكليزية في مجلة « العالم الاسلامي » (*Muslim World*) الاميركية عدد نيسان ١٩٥٧ ، وقد تصرّفنا بعض الشيء في نقله الى العربية .

٢) Les preuves de l'existence de Dieu dans la Théologie Musulmane, in *Mededeelingen der Konink. Akademie van Wetenschappen*, Deel 81, serie A, n° 2, Amsterdam, 1936.

٣) راجع الخلاصة اللاهوتية ، المسألة الاولى (*Ia Pars*).

ليس شيئاً اكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات... فالشرع قد دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلّب معرفتها به» — كما يقول مؤلفنا في مطلع تلك المقالة. وهو يزيد ذلك بطائفة من الآيات القرآنية. وعندما يعرض لمعالجة هذه القضية ثانية في مطلع (الكشف)، نراه يميّز بين ثلاثة «طرق» من شأنها أن تفضي الى اثبات وجود الصانع: أولاً: طريق الحشوية الذين ذهبوا الى أن معرفة وجود الله تثبت بالسمع لا بالعقل: أي أن الايمان به يكفي، وأن ذلك مما لا شأن للعقل فيه[١]. ثانياً: طريق الأشعرية (وهو طريق المعتزلة ايضاً) الذين اقرّوا بامكان التدليل على وجود الله بالعقل وبنوا دليلهم، كما سنرى، على احدى مقدمتين: مقدمة الحدوث أو مقدمة الجواز[٢]. ثالثاً: الصوفية و«طرقهم في النظر ليست طرقاً نظرية... وانما يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقى في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية واقبالها بالفكرة على المطلوب»[٣] — كما يقول ابن رشد. إلا أن هذه الطريقة، وان صح وجودها، «فليست عامة للناس بما هم ناس» بل هي وقف على فئة قليلة منهم.

لم يكن ابن رشد أول من تطرّق الى هذه الناحية المنهجية لمشكلة وجود الله من فلاسفة الاسلام ومتكلميه؛ اذ نحن نجد في (كتاب أصول الدين)[٤] للبغدادي († ١٠٣٧) معالجة وافية لهذه المشكلة، لعلها أقدم معالجة من نوعها. إلا أنه لا يستبعد أن يكون البغدادي احدى الحلقات في سلسلة التطور الفكري الذي استحدثه معتزلة القرن التاسع، كما يتبيّن من تطرّقهم الى عدة مسائل تجريدية: كمسألة المعاني والعلم وسواهما[٥]. ولكن من الغريب حقاً أن أبا بكر الباقلاني († ١٠١٣) الذي يعزى اليه الفضل في تهذيب اساليب الكلام يكاد لا

١) راجع الكشف عن مناهج الأدلة، في فلسفة ابن رشد، القاهرة مطبعة الرحمانية. ل. ت. ص ٣١.
٢) ويعزو الدليل الاخير الى ابي المعالي (الجويني) المتوفي ١٠٨٦ — ص ٤٠.
٣) راجع الكشف ص ٦٤.
٤) راجع هذا الكتاب، اسطنبول ١٩٢٨ ص ٤ — ٣٢.
٥) راجع مقالات الاسلاميين للاشعري، اسطنبول ١٩٣٠ ص ٣٧٢ و٣٩١ و٤٧١ الخ.

يلمّ بهذا الموضوع في مطلع (كتاب التمهيد) إلا الماماً عابراً.

لذلك كان الفصل الاول من كتاب (أصول الدين) ذا شأن خاص ؛ في فهم نظرة المتكلمين المسلمين الى مشكلة المعرفة (أو العلم). وليس بوسعنا أن نذهب هنا في بسط البغدادي لمشكلة العلم واقسامه وشروطه ، الخ ، بسطاً يذكّرنا ببعض المدارس الفلسفية الحديثة. ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن البغدادي يصف المعرفة اليقينية بالمعرفة العقلية ، مورداً على ذلك كشواهد معرفة حدث العالم وقدم صانعه ووحدته وصفاته وعدله وحكمته وجواز التكليف[1]. واذ يتطرّق الى المباحث التي يدور عليها العلم ، يفيدنا أن الاشاعرة (اصحابنا) ذهبوا الى أن العقل قادر على اثبات حدث العالم ووحدة صانعه وعلى جواز ما يجوز وامتناع نقيضه ، مردفاً قوله : أن التكاليف الدينية ، مع ذلك ، لا تجب بالعقل بل بالسمع فقط[2] — فلم يكن المرء مستحقاً للثواب أو العقاب على معرفته تلك بالصانع ؟. وهو قول انكره المعتزلة الذين ذهبوا الى أن الانسان قادر على معرفة الخير والشر قبل ورود السمع ، وأنه يثاب ويعاقب على تلك المعرفة[3]. ورغم هذا الخلاف الفرعي حول صلة المعرفة بالتكليف ، فكلا المعتزلة والاشاعرة اتفقوا — كما رأينا من رواية ابن رشد — على امكان معرفة الله بالعقل.

أما قبل قيام المعتزلة الذين استهلّوا هذا التيار الفكري الذي يعرف بعلم الكلام في الاسلام ، فلم تكن البرهنة على وجود الله وسواها من المسائل اللاهوتية العقلية مقدورة طبعاً. فالفقهاء الأول اشباه مالك بن انس (+٧٩٥) واتباعه انما اكتفوا بالمعرفة القائمة على الكتاب والسنّة. فلم تكن حالهم في ذلك لتختلف عن حال الصوفية الذين ذهبوا الى أن الله يعرف مباشرة بالكشف. وهكذا فلم يكن للتدليل على وجود الله عند الصوفية اولئك والحشوية هؤلاء ضرورة قط : اذ كان وجود الله يعرف مباشرة ، إن بتصفح الكتاب عند أولاء ، أو بالكشف الصوفي عند اولئك.

١) الاصول ص ١٤ .

٢) ينسب الشهرستاني في (نهاية الاقدام) هذا القول الى ابي الحسن الأشعري نفسه (+٩٣٥) — راجع ص ٣٧١ . ٣) راجع الشهرستاني (الملل والنحل) ص ٣١ و (الاصول) أعلاه .

اذا صحّ اعتبار الدليل السببي (argument cosmologique) الذي وضعه ارسطو وبسطه أصحابه خلال العصور اللاحقة الدليلَ الكلاسيكي على وجود الله في الغرب ، فما لا مراء فيه أن دليل الحدوث ، ودليل الجواز ، المتّصل به هما الدليلان التقليديان على وجود الله في الاسلام . فالدليل الارسطوي الذي يرتكز على مبدأ السببية لم يكتب له الرواج في العالم الاسلامي ، حتى عند كبار المشّائين العرب كابن سينا († ١٠٣٧) وابن رشد († ١١٩٨). فالأول توفّر على (دليل الجواز) ، توفّرًا كان له أثره في مذاهب المتكلمين اللاحقين كفخر الدين الرازي († ١٢٠٩)[1] ، بينا اختار الثاني (دليل العناية) ، الذي نبّه اليه الكتاب ، عنده ، لأنه اقرب الى مدارك الجمهور من الأدلة الأخرى[2].

ولعلّ أهمّ العوامل التي دعت الى التجاوز عن (الدليل السببي) ونبذه هو أن مبدأ السببية الذي يدور عليه هذا الدليل لم يكن من القضايا المسلّمة في أوساط المتكلمين ، لما أثير حوله من الشبهات التي ترقى الى اوائل عهد المسلمين بالكلام . فالغزالي († ١١١١) في نقضه المشهور لمبدأ السببية في (التهافت) (المسألة ١٧) ، انما يجمل الحجج التي درج المتكلمون على ايرادها على ذلك المبدأ . وفي كتاب (اصول الدين) المشار اليه اعلاه ابطال للسببية يشبه من نواحي عدة ابطال الغزالي في التهافت[3] . من هنا يتضح لنا غرابة قول ونسنك أن دليل الحدوث (argument a novitate mundi) شبيه بالدليل الارسطوي التوماني المبني على مبدأ الحركة وعلى السبب الفاعل (ex parte motus et ex ratione causae efficientis)[4] — فالدليل الارسطوي يفترض التمييز المتافيزيكي الأصلي بين القوة والفعل ، الذي أنكره المتكلمون كذلك واستعاضوا عنه بثنائية الجوهر والعرض . أضف الى ذلك أن قيام هذا الدليل مستقلّ عن صحة مقدمة حدوث العالم أو فسادها (كما رأى كلا القديس توما وموسى بن ميمون († ١٢٠٤) —

١) يأخذ ابن رشد على ابن سينا تأثره بالمتكلمين في هذا الباب وليس العكس — الكشف ص ٤١ الخ . وواضح أن ذلك لا يناقض قولنا اعلاه .

٢) الكشف ، ص ٤٥ .

٣) الاصول ، ص ١٣٧ .

٤) المقال المذكور — ص ٢٦—٢٧ . والدليلان المذكوران أعلاه هما الدليلان الاولان من أدلة القديس توما الخمسة .

وهي المقدمة التي بنى المتكلمون عليها دليلهم ، كما سنرى . بل على العكس، فالدليل السببي على وجود المتحرك الذي لا يتحرك ، انما ينبثق انبثاقاً منطقياً وطبيعياً عند أرسطو عن مذهبه في أزلية الحركة في عالم أزلي[1] . والدليل التقليدي الذي أخذ به المتكلمون يستند على مقدمة تشدّد عليها(كتب الاصول) تشديدًا عظيماً : هي مقدمة الحدوث . وتلك علّة اقدام المتكلمين على ابطال القول بقدم العالم بضراوة شديدة. فابن حزم الأندلسي الفقيه والمتكلم الظاهري، المتوفي سنة ١٠٦٤، يتّخذه أساساً للتمييز بين الفرق الناجية والفرق الهالكة من المسلمين وسواهم . ويكرّس الغزالي — كما هو معروف — السؤال الاوّل من كتاب تهافت الفلاسفة للردّ على القائلين بقدم العالم ، وهي أدهى المسائل التي يأخذها على الفلاسفة ، عنده .

أما اثبات المتكلمين لحدوث العالم ، فقد كان يدور على اثبات أن العالم ، الذي عرّفوه بقولهم أنه كلّ ما عدا الله، مركّب من الجواهر والاعراض، وكلاهما حادث ، لأن الاعراض يستحيل أن تبقى زمانين عندهم ، بل يخلقها الله دوماً ويفنيها كما يشاء . ويعرّف الباقلاني الاعراض بقوله : « انها التي لا يصح بقاؤها . . . وتبطل في ثاني حال وجودها »[2] — ناسجاً في ذلك ولا شك على غرار الأشعري . كذلك الاجزاء التي لا تتجزأ (وهي الجواهر) يخلقها الله دوماً ، فاذا أراد بقاءها خلق فيها عرض البقاء . ولما كان هذا العرَض ، شيمة سائر الاعراض الأخرى ، يفنى من حينه ، كان عالم الجواهر والأعراض في حال دائمة من الكون والفساد[3] .

ومع أن اثبات حدوث العالم بناء على حدوث اجزائه هو الدليل الذي اختاره عامة المتكلمين ، فهو لم يكن دليلهم الوحيد . ومن المؤسف حقاً أنه ليس بوسعنا الوقوف على أساليب المعتزلة في هذا الباب ، لضآلة ما وصلنا من مؤلفاتهم . إلا أن ثمّ أدلة تشير الى أن الأشعري وأصحابه إنما اقتبسوا

---

١) عرضت لهذه المسألة بالتطويل في مقال عنوانه : أزلية العالم عند ابن رشد وابن ميمون والأكويني ، ظهر بالانكليزية في مجلة *le Muséon* البلجيكية ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١٣٩ الخ .

٢) التمهيد ، القاهرة ١٩٤٧ ص٤٢ ٣) راجع المشرق ٤٧ ، ١٩٥٣ ص ١٥١–١٧٢

أساليبهم البرهانيــة عامة عن المعتزلة . ولعلّ ابن حزم الأندلسي هو أقدم المتكلمين الذين وصلنا تفنيدهم لأزلية العالم وتدليلهم على حدوثه . فهو يورد خمسة أدلة على حدوث العالم في كتاب الفِصَل في الملل والأهواء والنحل [1]، يشبه بعضها الحجج التي ترد في رسالة للكندي (†٨٧٠؟) موسومة في(وحدانية الله وتناهي جرم الكون). وقد يكون الأشعري قد سبق ابن حزم الى بعض هذه الأدلة ايضاً : فابن عساكر (†٥٧١ هـ.) يروي في تبيين كذب المفتري أن الأشعري صنّف رسالة عنوانها (كتاب الفصول) في الرد على الدهرية والفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم [2] . ولعل هذه الرسالة أقدم رسالة كلامية عرض مؤلفها الى مسألة قدم العالم . ورغم قول الشهرستاني أن الأشعري اختــار أسلوب الابطــال الــسلبي ، عوضاً عن اسلوب الاثبات الإيجابي ، فيحق لنا أن نفترض أنه أشفع الأسلوب السلبي بالاسلوب الايجابي ، شيمة عدد من المتكلمين اضراب ابن حزم وفخر الدين الرازي وسواهما .

٥

لن نستطرد هنا الى بسط ادلّة ابن حزم الخمسة على حدوث العالم ، بل نكتفي بالاشارة الى أن معظم الأدلّة التي يوردها العلماء اللاحقون ، كالغزالي والرازي ، ترد في كتاب الفِصَل ، وان كانت ما تزال في طور جرثومي بعد . وهذا يؤيّد ، عندنا ، قول ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الارسطوطاليسي الشهير أن المتكلمين انما اقتبسوا هذه الأدلّة عن يحيى النحوي († ٥٨٦) ، الشارح واللاهوتي اليعقوبي ومؤلف كتاب قدم العالم (*De aeternitate mundi*) ، وهو عبارة عن ردّ على حجج برقلس على قدم العالم [3] — أو عن مؤلف سواه من الذين حملوا على قِدم العالم — وذلك للشبه الظاهر بين أدلة المتكلمين على الحدث وابطالهم للقدم .

وبناء على مقدمة الحدث هذه سعى المتكلمون الى اثبات أن العالم ، وهو حادث أو مُحدَث ، لا بد له من محدِث ، بالاستناد الى ما يعرف بمبدأ الترجيح

---

١) راجع هذا الكتاب ، القاهرة ١٣١٧ هـ . الكتاب الاول ص ٣ الخ .

٢) راجع الكتاب المذكور ، دمشق ١٣٤٧ هـ . ص ١٢٨ .

٣) يشير ابن النديم في الفهرست ، ليبزغ ١٨٧١ ج١ ص ٢٥٤ الى كتاب يحيى النحوي في الرد على برقلس الافلوطيني هذا ، مما يدلّ على أن العرب ألمّوا بهذا الكتاب مباشرة او من خلال مؤلّف آخر .

أو التخصيص . ينص هذا المبدأ بايجاز على أن العالم قبل وجوده كان ممكناً : أي أن عدمه ووجوده كانا سيّين ؛ فوجب اذ ذاك أن يكون ثمت مرجّح ، يرجّح كفّة الوجود فيه على العدم ، وإلّا لم يوجد العالم ؛ وهذا المرجّح هو الله. ولنأخذ على ذلك مثالاً الباقلاني ، الذي ينتمي الى الطبقة الثانية من الأشاعرة. فهو يلخص هذه الحجة في كتاب التمهيد [1] كما يلي : لمّا كان العالم حادثاً وجب أن يكون له مُحدِث ومصوّر ، كما كان للكتابة كاتب وللصورة مصوّر وللبناء بان. وهو يضيف الى هذا الدليل دليلين آخرين لا يختلفان شكلاً عن الدليل الأول ، وإن اختلف الحدّ الوسط فيهما : الاول أن تقدم بعض الاشياء على بعض يفترض مقدّماً قدّمها — ما دام التقدّم لا يلحق بالمتساويين طبعاً ، وهذا المقدّم هو الله . أما الثاني فيقحم فيه مفهوم الجواز ويضع أن الأشياء في ذواتها قابلة لصور ، وكيفيات مختلفة ، فاختصاصها بصور معيّنة دون أخرى يفترض مخصصاً أو مرجحاً أوجب اختصاصها بهذه الصور ، وهو الله [2] .

من الملاحظ أن هذه الادلة الثلاثة تتفق في استنادها على ما دعوناه مبدأ الترجيح . إلّا أن الدليل الاول يفترض الى ذلك ، حدوث العالم كما رأينا . أما الثالث فهو لا يختلف ، في جوهره ، عن دليل الجواز (argument a contingentia mundi) الذي بسطه الجويني امام الحرمين († ١٠٨٦) فيما بعد في الرسالة النظامية — كما يروي ابن رشد [3] ، متقفياً بذلك أثر ابن سينا والفارابي († ٩٥٠) وسواهما ، كما مرّ .

ومن الطريف أن الجويني يبسط في كتابه المشهور (الارشاد) دليل الحدوث الذي كان اكثر رواجاً في أوساط المتكلمين من الأدلّة الأخرى . فهو يضع أنه اذا صحّت مقدمة الحدث ، واذا صحّ أن العالم « مفتتح الوجود » — ما دام الحادث يتساوى وجوده وعدمه ، — وجب أن يكون للعالم مخصص يرجح وجوده على عدمه ، وهذا المخصّص هو الله [4] .

---

١) التمهيد ص ٤٥ .

٢) التمهيد ص ٤٥ . وهكذا يكون الباقلاني قد سبق كلا الجويني وابن سينا الى هذا الدليل (دليل الجواز) الذي ينسبه كلا ابن رشد وونسنك الى الجويني .

٣) الكشف ، ص ٤٠ . راجع الرسالة النظامية ، مصر ٩٦٨ ص ١٢ .

٤) راجع الارشاد . نشر لوسياني ، باريس ١٩٣٨ ، ص ١٦ .

أما دليل البغدادي الوارد في كتاب (أصول الدين)، فهو لا يختلف كبير اختلاف عن دليل الباقلاني أو دليل الجويني. فهي تستند جميعها — كما رأينا — على أن العالم مركّب من الجواهر والأعراض التي لا بقاء لها بذاتها قط. لذلك يحق لنا أن نتساءل عن مدى تأثر هؤلاء الاشاعرة بابي الحسن الاشعري، مؤسس المدرسة الأشعرية الكبرى في الكلام. وقد يسّر لنا نشر كتاب (اللمع)، حديثاً الاجابة على هذا السؤال اجابة تمهيدية، ريثما نعثر على مصادر أشعرية أوفى.

للدليل الذي يورده الاشعري في هذا الكتاب طابع قرآني واضح. فليس له شيء من الدقة المنطقية التي تتميز بها الأدلة الكلامية في الحقبة اللاحقة. وهو يستند على الاشارة الى الاطوار التي يمرّ بها الانسان في نموّه من نطفة الى علقة فجنين. وما دام المرء، عند مؤلفنا، عاجزاً عن تحويل ذاته وجب أن يكون ثمت «محوّل حوّله» من طور الى طور، وبناء عليه فللعالم بجملته محوّل حوّله هو الله[1]. ومع أن صيغة هذا الدليل المقتضبة تتفق مع طبيعة كتاب اللمع، — وهو مؤلف تمهيدي موجز، إلا أنها تثبت أن الكلام الأشعري لم يكن قد بلغ شأواً بعيداً من الدقة والإحكام المنطقيين، في اوائل القرن العاشر بعد. لذلك كان علماء هذه الحقبة يكتفون بالحجج الخطابية المستمدّة من الكتاب والسنّة. ويغلب الظن أن تطبيق الاساليب البرهانية الدقيقة، لم يبتدئ إلا على يد ابي بكر الباقلاني — وهو من اشاعرة الطبقة الثانية، كما مرّ. إلا أن الباقلاني نفسه، كما رأينا، لا يتوفر على تحليل المفاهيم المنطقية التي يبني أدلته عليها تحليلاً تاماً. وفي تاريخ الكلام اللاحق إحكام أشدّ في استخدام اساليب الحجاج المنطقية وتقصٍّ أعمق لمضمون المفاهيم المنطقية. ويميّز ابن خلدون في المقدمة[2] بين طريقة المحدثين وطريقة القدماء في تطوّر علم الكلام، مسنداً الى الغزالي فضل ادخال طريقة المحدثين. وقد يكون اسناد هذا الفضل الى الغزالي أو الى أحد أسلافه من كبار المتكلمين كالباقلاني والجويني، استاذ

١) راجع كتاب اللمع، نشر الاب ماكارثي اليسوعي، بيروت ١٩٥٣ ص ٦. وهذه الصيغة لدليل الأشعري تتفق مع ما يرويه الشهرستاني عنه في كتاب الملل والنحل ص ٦٦ وكتاب نهاية الاقدام في علم الكلام ص ١٢.

٢) المقدمة طبعة De slane ص ٦١.

الغزالي، موضع نظر. إلا أنه من الواضح — كما رأينا — أن هذا الطور طور لاحق لزمن ابي الحسن الأشعري، أي يرقى الى اواخر القرن العاشر، على كل حال.

أما دور الغزالي في معالجة المشكلة التي نحن بصددها فمزدوج. فقد أظهر بوضوح أولاً مدى التعارض بين التعلم الاسلامي وبين مذهب أرسطو في أزلية العالم والمادة. وهذّب ثانياً الأدلّة التي بسطها المتكلمون من أسلافه وثقّفها. وتشديد ونسنك على الثنائية والازدواج في تفكير الغزالي الصوفي والغزالي المتكلم تشديد أصيل ولا شك. ولكن يهمنا هنا الغزالي المتكلم وحسب، ولا سيا في تدليله على وجود الله، كما يثبته خاصة في كتاب (الاقتصاد في الاعتقاد). فهو يدور، شيمة سائر الأدلّة التقليدية، على مبدأ الترجيح. وهاك حجته كما ترد في هذا الكتاب: كل حادث فله سبب، العالم حادث فوجب أن يكون له سبب. أما الحادث فمعناه عند الغزالي ما لم يكن ثم كان. والعالم قبل حدوثه كان ممكناً: أي أن وجوده وعدمه كانا متساويين في مقدار الامكان. ولكي يترجح جانب الوجود على جانب العدم، وجب أن يكون ثمّت مرجح، وإلا لبقي هذا العالم الممكن، على حاله الأولى من العدم[1].

قد يستغرب القارىء اقحام الغزالي هنا لمفهوم السببية، بعد أن حمل عليه حملته المشهورة في «تهافت الفلاسفة»، لما ينطوي عليه ذلك من تناقض. إلا أن الغزالي، ما أن يورد حجته تلك في الاقتصاد، حتى يسارع الى القول أنه يعني بلفظة السبب المرجح، وهكذا يزول التناقض. إلا أن هذه اللفظة، كما مرّ، لم تلاقِ رواجاً كبيراً عند المتكلمين عامة لصلتها بالفلسفة الارسطوطاليسية. وأوفى نقض لمبدأ السببية الذي ينطوي عليه مذهب المعتزلة في التولّد، عند الاشاعرة يقع عليه الباحث، هو نقض البغدادي (✝ ١٠٣٧) في كتاب أصول الدين، الذي أشرنا اليه أعلاه. أما متكلمو الحقبة اللاحقة كفخر الدين الرازي (✝ ١٢٠٩)، فهم لا يتورّعون عن استعمال لفظة سبب أو علّة في مناقشاتهم اللاهوتية، بمعنى المرجّح المشار اليه لا بمعنى العلّة الارسطوطاليسية.

قد يكون من المفيد أن نورد هنا عرض الرازي لأدلّة المتكلمين على وجود الله، كما نجدها مثبتة في كتاب الأربعين، وهو من أوفى المباحث التي وصلتنا

١) الاقتصاد، مصر، ل. ت. ص ١٤.

في هذا الباب والتي لم يلمّ ونسنك بها ، كما يبدو ، في دراسته المذكورة[1].

يوجز الرازي هذه الأدلة في اربعة :

١ — الأول : اثبات وجود الله بناء على امكان العالم . وهذا الدليل يلزم عنه وجود واجب الوجود ، الذي يجب العالم الممكن به .

٢ — الثاني : اثبات وجود الله بناء على امكان صفات العالم : أي ضرورة مرجح تلزم عنه صور الاجسام التي يتركب منها العالم وخصائصها وأماكنها . وهذا المرجح ليس بجسم عنده .

٣ — اثبات وجود الله ، بناء على حدوث الجواهر والاجسام التي يتألف منها العالم .

٤ — اثبات وجود الله ، بناء على حدوث صفات الاشياء (أو كيفياتها) . وهذا الدليل يلزم عنه وجود صانع حكيم يدبّر الاشياء بحسب قدرته وارادته .

من البيّن أن هذه الأدلة الأربعة تتلخص ، كما يلاحظ الرازي نفسه ، في دليلين : هما دليل الحدوث ودليل الامكان . ويدور الأول على مفهوم الزمان : أي على أن العالم له بداية زمانية ، والثاني على مفهوم الجواز أو الامكان : أي على أنه كان يمكن للعالم أن يكون على خلاف حاله الآن . إلا أن الرازي شبه سائر المتكلمين ، لا يميز بين هذين الدليلين تمييزاً واضحاً — وهو ما يأخذه على المتكلمين ابن سينا في كتاب النجاة[2] . ومن جراء ذلك يعرض لحججه شيء من التشويش : فهو يحدّد المحدَث ، مثلاً ، بقوله أنه جائز الوجود ، أي ما كانت ماهيته قابلة للوجود والعدم على السواء ، وذلك معنى الممكن عنده[3] فتأمل .

---

١) راجع كتاب الاربعين ، حيدرآباد ١٩٣٤هـ ص ٦٩ الخ . لم يطّلع ونسنك على هذا الكتاب في دراسته التي ظهرت سنة ١٩٣٦ ! رغم ذلك .. وهو لا يذكر من كتب الرازي سوى كتاب طوالع الانوار ومفاتيح الغيب .

٢) راجع النجاة ، مصر ١٣٣١ هـ . ص ٣٤٧ و ٣٦٣ .

٣) كتاب الأربعين ، ص ٨٦ . وواضح ان لو كان ذلك كذلك لباتت أدلته الاربعة بمثابة دليل واحد . ويجدر بنا أن نشدّد هنا على ضرورة التمييز بين مفهومي الحدوث الذي يتصل بمفهوم الزمان ، ومفهوم الجواز الذي لا يتصل به قط . اذ معنى الجائز ما ليس واجباً — أي ما أمكن أن يكون على خلاف ما هو عليه ، ومثله الممكن . إلا أن الممكن يقال على معان عدة ، فهو اسم النوع ، والجائز اخصّ منه .

بوسعنا أن نتجاوز هذه المسألة وننظر في وجوه الشبه بين هذين الدليلين المختلفين. فسواء انطلقنا من مفهوم الجواز أو مفهوم الحدوث، وجب أن نضع مبدأ خارجاً عن سلسلة المحدثات أو المحسوسيات هو واجب الوجود الذي يرجح أو يخصص وجود العالم، من جهة، أو كيفية هذا الوجود من جهة أخرى. وهذا في الواقع هو وجه التباين بين المفهومين اللذين يدور هذان الدليلان عليهما. فدليل الحدوث يفترض أن وجود العالم وعدمه كانا ممكنين، قبل وجود العالم الفعلي، فليس فيه اشارة الى كيفية هذا الوجود، كما هي الحال في دليل الجواز.

ثانياً: يلزم وجود الواجب عن استحالة التسلسل الى ما لا نهاية. لذلك يسهب الرازي في ابطال التسلسل والدور، لصلة هذا الأبطال بالدليل المذكور. أما في ابطاله للدور فيبدو أنه يلخص الحجة التقليدية عند المتكلمين، وهي أننا اذا وضعنا أن الممكن هو علة الممكن، وهذا الممكن بدوره علة ذلك الممكن، لزم عن ذلك أن الممكن علة ذاته، فهو سابق لذاته، وهو ممتنع. إلا أنه يضيف اليها حجة أخرى من عنده، وهي أن المعلول يفتقر الى العلة. فلو كانت احدى علتين ممكنتين معلولة للأخرى لافتقرت احداهما للاخرى، فافتقرت العلة الى ما يفتقر الى ذاته. فيلزم أن كلاهما تفتقر الى ذاتها، وهو محال [1].

أما في ابطال التسلسل فهو يضع كمقدمة أن العلة يجب أن توجد بالفعل لدى وجود المعلول، وإلا أمكن أن يوجد المعلول من تلقاء ذاته، أي دون علة — وهو يناقض المقدمة التي وضعناها أعلاه. وبناء على هذه المقدمة يورد حججاً ثلاثاً على استحالة التسلسل أعرضها بايجاز، لاهمية هذه القضية في الدليل على وجود الصانع:

اولاً: أن تسلسل الاسباب والمسببات الى ما لا نهاية يفترض أن السلسلة بجملتها قد توجد في آن واحد. فوجب أن تكون السلسلة بجملتها واجبة أو ممكنة. ويستحيل أن تكون واجبة، ما دامت تتألف من الممكنات، فوجب أن تكون ممكنة بجملتها، فهي تفتقر الى «مؤثر» أو مخصص واجب، هو واجب الوجود.

---

١) كتاب الأربعين، ص ٨٠ — ٨٤.

ثانياً : اذا كانت السلسلة بجملتها جائزة أو ممكنة في ذاتها ، كما مرّ ، وكان الممكن في ذاته يحتاج الى مؤثر ، فهذا المؤثر أ . إما أن يكون السلسلة ذاتها ب. أو شيئاً داخلاً فيها ج أو شيئاً خارجاً عنها . أما الوجه الاول فممتنع لانه يعني أن السلسلة علة ذاتها ؛ والوجه الثاني ممتنع ايضاً لانه يعني أن ما يؤثر في السلسلة علة ذاته أو علة ما هو علة له (أي السلسلة) . لذلك لزم أن يكون المؤثر (أو العلّة) خارجاً عن سلسلة الممكنات ، فكان واجباً .

ثالثاً : اذا انطلقنا من طرف سلسلة الممكنات المقابل لنا وجدنا أن لهذه السلسلة طرفاً يطول أو يقصر ، بالنسبة الى نقطة الانطلاق التي اعتمدناها . ومعنى ذلك أن السلسلة متناهية من طرف ، وقد فرضناها لا متناهية . فاذا كانت متناهية من طرف ما كانت متناهية من الطرف الآخر ، وكان هذا الطرف ممكناً أو واجباً . فاذا كان ممكناً وجب ان يكون له مؤثر وهكذا دواليك ، واذا كان واجباً فهو المطلوب[1] .

لا اسراف في القول أن العصر الذهبي في تاريخ الكلام ينتهي بوفاة فخر الدين الرازي سنة ١٢٠٩ . ولعل ميزة هذا المتكلم البارع أنه أدخل على المناقشات الكلامية واللاهوتية بعض الأساليب الفلسفية الشكلية التي كان (تهافت) الفلسفة الأرسطوطاليسية في القرن الحادي عشر قد أدّى الى نبذها وتبديع أصحابها . وتكفي مطالعة آثاره مطالعة عابرة لاقناعنا بمدى تأثره بابن سينا . وقد استمرّ هذا التزاوج بين الفلسفة والكلام الذي عمل الرازي على توطيده ، طيلة القرنين اللاحقين . إلا أن الآثار الكلامية التي ترقى الى هذه الحقبة (كشرح مواقف الايجي(†١٣٥٥) للجرجاني ومقاصد التفتزاني(†١٣٨٩) انما تعكس الانحطاط الفكري العام في هذا العصر . فلا غروَ أننا لا نجد في هذه الآثار أي محاولة جديدة لمعالجة مشكلة وجود الله ، تخرج عن نطاق الأدلة المتعارفة بين المتكلمين السابقين . اذ أن عامة هذه الآثار انما ضربت على غرار الآثار الكبرى التي حفل بها العصر الذهبي في تاريخ الكلام — أي في القرنين العاشر والحادى عشر ، فليس فيها جديد قط .

---

١) كتاب الأربعين ص٨٣ .

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)

رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

($\frac{١٦١}{٧٣}$) وصول بجكم[١] الى الحضرة[٢] وتفرده بالامر .

ولما وافى بجكم ديالي[٣] انهزم ابن رايق بعد ان فتح من النهروان بثقا[٤] الى ديالي ليكثر ماوه فعبر اصحابه سباحة وصار ابن رايق الى عكبرا واستتر الكوفي[٥] وابن مقاتل[٦].

ووصل بجكم الى الراضي ثاني عشر ذي القعدة فخلع عليه والطالع العقرب وسار بالخلع الى مضربه بديالي وانفض جيش ابن رايق عنه فدخل بغداد واستتر. وخلع على بجكم دفعتين بعد ذلك ومضى الى دار مونس بسوق الثلاثا وهي التي كان ينزلها ابن رايق فنزلها .

فكانت امارة ابن رايق[٧] سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما ومدة كتابة الكوفي له وتدبيره المملكة تسعة عشر شهرا وثمانية ايام .

قال ابو سعيد السوسي[٨] قال لي بجكم بحضرة اصحابه معي خمسون الف دينارا لا احتاج اليها فلما كان بعد ذلك قال لي[١][٩] تدري كم كان معي ذلك اليوم قلت لا قال كان معي خمسون الف درهم[١٠]. فقلت اتراك لم تثق بي فكنت

١) في الاصل بحكم بحاء مهملة
٢) في الاصل الحصرة
٣) في الكامل ٢٦٦/٦ وتجارب الامم ٣٩٥/٥ نهر ديالى
٤) في الاصل نثقا والتصويب عن تجارب الامم ٣٩٢/٥
٥) نسبه في تجارب الامم ٣٩٥/٥ ابو عبدالله احمد بن علي الكوفي
٦) نسبه في تجارب الامم ٣٩٥/٥ ابو بكر بن مقاتل
٧) في الكامل ٢٦٦/٦ ابو بكر بن رائق
٨) في الكامل ٢٦٦/٦ وتجارب الامم ٣٩٧/٥ ابو زكريا يحيى بن سعيد السوسي
٩) في الاصل ندرى
١٠) في الكامل ٢٦٨/٦ دينار

تطلعني على الحال فقال لو اطلعتك ضعفت نفسك وضعف كلامك وعولت عليك في رسالة فعجبت من دهايه .

ومات ابو عبدالله النوبختي بعلة السل .

وظفر الراضي بابي عبدالله الكوفي فناله فيه ابو الحسن سعيد بن سنجلا حتى صادره على اربعين الف دينار .

واقر الراضي الوزير ابا الفتح على الوزارة وهو بمصر .

وفي شهر رمضان انفد (١٤٣/٧٦) ملك الروم كتاباً بالرومية يتضمن سوال الراضي الفدا[١] وكانت الترجمة بالعربية مكتوبة بالفضة[٢] وانفذ مع الكتاب[٣] هدية جليلة فاجاب ابن ثوابة عن الكتاب وفي آخره[٤] وقد اسعفكم امير المؤمنين بما احببتم من هديتكم ورد الرسايل بما سنح من مروتكم صيانة لكم عن الاحتشام ورفعا عندكم من الاغتنام .

وخاطبه ملك الروم بالشريف البهي ضابط سلطان المسلمين وخاطبهم الراضي بروسا الروم .

سنة سبع وعشرين وثلاثماية

واخر الحسن بن عبدالله بن حمدان[٥] مال ضمان الموصل فصار الراضي الى تكريت وانفذ بجكم[٦] الى الموصل فلقيه زواريق[٧] فيها هدية ابن حمدان فاخذها بجكم[٦] وعبر فيها جيشه الى الجانب الغربي وسار فالتقى[٨] هو وابن

---

١) وقال في البداية والنهاية ١١/١٨٨ ، وفودي من المسلمين ستة الاف اسير ما بين ذكر وانثى على نهر البدندون

٢) في البداية والنهاية ١١/١٨٨ قال : فيها ورد كتاب من ملك الروم الى الراضي مكتوب بالرومية والتفسير بالعربية ، فالرومي بالذهب والعربي بالفضة .

٣) تقرأ في المنتظم ٦/٢٩٣ بعض هذا الكتاب .

٤) في الاصل واخره .

٥) في الكامل ٦/٢٦٩ والذهبي في كتاب دول الاسلام ١/١٤٧ ناصر الدولة بن حمدان

٦) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٧) في تجارب الامم ٥/٤٠٥ زواريق انفذها ناصر الدولة فيها دقيق وشعير وحيوان هدية . . .

٨) في الاصل فالتقا

حمدان بالكحيل[١]، فانهزم[٢] اصحاب بجكم[٣] واستوسر ابو حامد الطالقاني ثم حمل بجكم[٣] بنفسه على ابن حمدان[٤] حملة صادقة فانهزم ابن حمدان رابع المحرم ومضى الى آمد[٥]، واتبعه بجكم[٣] الى نصيبين فسار حينئذ الراضي في الماء الى الموصل وانصرف عنه من تكريت القرامطة الذين تبعوه الى بغداد مغضبين لتاخر ارزاقهم فظهر ابن رايق [من استتاره][٦] وانضموا اليه .

وكتب الراضي حين بلغته الصورة الى بجكم[٣] فاستخلف على اصحابه وجاء اليه الى الموصل فجرى[٧] بين اصحابه وبين اهلها فتنة فركب ووضع فيها السيف ($\frac{١٦٣}{٦٦}$) واحرق مواضعا في البلد .

ورجع الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين وانصرف عنها من خلفه بجكم[٣] بها . فاخذ اصحاب بجكم[٣] يتسللون من الموصل الى بغداد وينضمون الى ابن رايق فزاد في قلق بجكم[٣] ولم يعرف ذلك ابن حمدان فاطلق ابا حامد الطالقاني وساله ان يسعى في الصلح وبذل له الف الف درهم فاستاذن بجكم[٣] الراضي في ذلك فاذن له في امضايه فرد الطالقاني وابا الحسين ابن ابي الشوارب وانفذ معهما باللواء والخلع .

وصاهر بجكم[٣] أبا محمد بن حمدان .

وانفذ ابن رايق ابا جعفر بن شيرزاد[٨] الى بجكم[٣] يلتمس الصلح .

وانحدر الراضي وبجكم[٣] الى بغداد بعد ان راسلا ابن رايق بقاضي القضاة[٩]

---

١) البكري ، معجم ما استعجم ١١١٦/٤ قال : الكُحَيل بضم اوله وفتح ثانيه على لفظ التصغير وعنه ٣٣٨/١ الكحيل وهو نهر اسفل من الموصل على عشرة فراسخ فيما بينهما وبين الجنوب

٢) في الكامل ٢٦٩/٦ فانهزم اصحاب ناصر الدولة

٣) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٤) في تجارب الامم ٤٥/٥ هو ناصر الدولة

٥) في الاصل ومضا الى امد

٦) زيادة عن الكامل ٢٦٩/٦ يقتضيها السياق

٧) في الاصل فجرا .

٨) الكامل ٢٦٩/٦ قال في نسبه ابو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد

٩) في الاصل القضات .

ابي الحسين[١] في تمام الصلح وولوه طريق الفرات وجند يسابور[٢] وديار مضر والعواصم فسار اليها قبل وصولهم .

وبلغ الراضي ان عبد الصمد بن المكتفي راسل ابن رايق ان يتقلد الخلافة فقبض عليه ويقال قتله .

وفي جمادى مات الوزير ابو الفتح الفضل بن جعفر ابن الفرات بالرملة ودفن هناك .

وشرع ان شيرزاد في الصلح بين بجكم[٣] والبريدى [ثم ضمن البريدي][٤] اعمال واسط بستمائة[٥] الف دينار .

وزارة البريدي ابي عبدالله للراضي بالله

فلما مات الوزير ابو الفتح شرع ابن شيرزاد للبريدى في الوزارة فانفذ اليه الراضي بقاضي القضاة[٦] ابي الحسين فامتنع من (١٦٦/٧٥) تقلدها ثم استجاب لذلك ووليها في رجب وخلفه ابو بكر محمد بن علي النقري[٧] بالحضرة كما كان ابن الفرات[٨] .

ولما تقلد البريدي الوزارة قال ابو الفرج الاصفهاني قصيدة اولها[٩] :

يا سماء اسقطي ويا ارض ميدي ... قد تولى الوزارة ابن البريدي
جل خطب وجل امر عضال ... وبداء اشاب راس الوليد
هد ركن الاسلام وانحنت المنبـ ... ـر ومحت اثاره غير مودي
اخلقت بهجة الزمان كما اخـ ... ـلق طول الزمان وشي البرود
يا لقومي لحر صدري وعولي ... وغليلي وقلبي المعمود
حين سار الخميس يوم خميس ... في البريدي في ثياب سود

١) نسبه في الكامل ٢٦٩/٦ ابو الحسين عمر بن محمد
٢) في الكامل ٢٩٦/٦ وتجارب الامم ٤٠٨/٥؛ وجند قنسرين
٣) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٤) زيادة عن الكامل ٢٧٠/٦ وتجارب الامم ٤٠٩/٥؛
٥) في الاصل ستماية
٦) في الاصل القضات
٧) في الاصل حسب اسلوب الناسخ النعرى ، وفي تجارب الامم ٤٠٩/٥؛ النقري
٨) في تجارب الامم ٤٠٩/٥؛ الفضل بن جعفر
٩) ورد في الفخري لابن الطقطقى صفحة ٢١١ – ٢١٢ الايات ١ و ٦ و ٨ و ٩

سودت اوجه الورى وعلتهم اذ علته بذلة وهمود
قد حباه بها الامام اصطفاء[1] واعتاداً منه بغير عميد
خلع تخلع العلى ولواء عقده حل عروة المعقود
كان اولى من لبسه خلع الملك بنعل يسوده وقيود

وهي قصيدة طويلة آخرها[2] :

في سبيل الاسلام خير سبيل محو رسم الاسلام والتوحيد
لا يدرن غافل بعد هذا بوليد ولا يرع لفقيد
فاستهلي يا عين بالدمع سحا وقليل ٠ ان تذرفي وتجودي

وحكي ان البريدي قال لندمايه من فيكم يحفظ قصيدة الاصفهاني التي هجاني بها فأنكروا مع معرفتها فقال بجقي عليكم (١٦٥/٧٥) انشدوني اياها . فقال احدهم اما مع قسمك فنعم . فلما بلغ الى قوله[3]

وكان احد قواد بجكم[4] ابراهيم بن احمد أخو نصر بن أحمد صاحب خراسان فقلده بجكم[4] الشرطة ببغداد .

وعمل ابراهيم لبجكم[4] دعوة جمع طباخي دار الخلافة لها وانفق فيها زيادة على عشرين الف دينار.

سنة ثمان وعشرين وثلاثماية

في مستهل المحرم ورد خبر بان أبا الحسن علي بن عبدالله بن حمدان اوقع بالدمستق وهزمه .

وفي آخره[5] تزوج بجكم[6] سارة بنت الوزير ابي عبدالله البزيدي[6] بحضرة الراضي والصداق ماية[7] الف درهم .

---

١) الفخري ٢١٣ اصطفاه
٢) في الاصل ٠اخرها
٣) في الاصل بياض بعدها
٤) في الاصل بحكم ؛ بحاء مهملة
٥) الاصل ٠اخره
٦) نسبه في المنتظم ٣٠٠/٦ ابو عبدالله محمد بن احمد بن يعقوب البريدي
٧) في المنتظم ٣٠٠/٦ وتجارب الامم ١٠/٥ ؛ مائتي

وكان نجيش البريدي قد قتل قايدين من الديلم فاستنجد معز الدولة اخاه ركن الدولة وكان مقيماً باصطخر[١] فاتاه طاويا للمنازل فوصل الى واسط في عشرة ايام والبريدي مقيم بغربيها فانحدر لحربه بجكم[٢] مع الراضي فانصرف عنها ومضى[٣] من فوره الى اصبهان ففتحها .

فعاد عند مضيه الراضي وبجكم[٢] الى بغداد .

وفي رجب قتل طريف السبكري طرسوس[٤] .

وفي شعبان توفي قاضي القضاة[٥] ، ابو الحسين[٦] فتوسط ابو عبدالله بن ابي موسى الهاشمي امر ابنه ابي نصر[٧] على عشرين الف دينار حتى ولي مكانه .

روى الخطيب عن القاضي ابي الطيب قال سمعت ابا الفرج المعافى[٨] بن زكريا الجريري يقول كنت أحضر مجلس ابي الحسين بن ابي عمر يوم النظر، فحضرت (١٤٦/٧٦) انا واهل العلم فدخل اعرابي له حاجة فجلس فجاء غراب فقعد على نخلة في الدار وصاح وطار فقال الاعرابي[٩] هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام قال فصحنا عليه وزبرناه فقام وانصرف .

واحتبس خروج ابي الحسين فاذا به قد خرج الينا الغلام وقال القاضي يستدعيكم فقمنا فدخلنا فاذا به متغير اللون منكسف البال مغتم[١٠] فقال اعلموا اني احدثكم بشيء قد شغل قلبي وهو اني رأيت البارحة في المنام شخصا وهو يقول :

منازل آل[١١] حماد بن زيد   على اهليك والنعم السلام

---

١) في الكامل ٢٧٢/٦ وهو بباب اصطخر

٢) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٣) في الاصل ومضا

٤) في الاصل رطرسوس ؟

٥) في الاصل القضات

٦) نسبه في البداية والنهاية ١٩١/١١ ابو الحسن عمر بن محمد بن يوسف ، وفي الكامل ٢٧٤/٦ قاضي القضاة عمر بن ابي عمر محمد بن يوسف وترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٢٢٩/١١-٢٣٢

٧) نسبة في البداية والنهاية ١٩١/١١ ابو نصر يوسف ابن عمر بن محمد بن يوسف

٨) في الاصل المعافا

٩) في الاصل العرابي

١٠) في الاصل معتم، والتصويب عن تاريخ بغداد ٢٣٢/١١

١١) في الاصل ال

وقد ضاق صدري فدعونا له وانصرفنا .

فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دفن رحمه الله .

وانفذ الى علي بن عيسى الوزير بمال في بعض نكباته وكتب اليه :

وتركي مواساتي اخلاي في الذي ... تنال يدي ظلم له وعقوق

واني لاستحي من الله ان ارى ... بعين اتساع والصديق مضيق .

وتوفي في هذا الشهر ابو بكر ابن الانبارى[١] معلم اولاد الراضي بالله ومن جملة تصانيفه كتاب الزاهر[٢] وكان يحفظ ماية تفسيرا للقرآن[٣] ولم يل بشاقط[٤] من دفتر وقال اني احفظ ثلاثة عشر صندوقا كتبا .

وفي شهر رمضان مات ابو بشر بن يونس القناني[٥] النصراني وهو الذي فسر كتاب المنطق .

وفيه خرج بجكم[٦] ($\frac{١٤٧}{٧٦}$) الى الجبل فلما بلغ قرميسين بلغه ان البريدى قد طمع في بغداد وكان طمعه لاجل دفاين في داره فعاد بجكم[٦] حينئذ وقد استامن اليه خلق من الديلم وكان قد امد البريدى قبل ذلك بخمس ماية رجل وانفذ معهم زكريا السوسي .

فلما عرف البريدى رجوعه الى بغداد ابلس[٧] وانفذ الى السوسي فاستحضره فظن[٨] انه يريد القبض عليه فقال له احب ان تصعد الى بجكم[٦] فتزيل الوحشة من صدره وهذه اذني فخذها وبعني فاني لا اعدل[٩] عن رايك وقد رتبت لك طيارا وخمسين غلاما لخدمتك .

قال فقبلت الارض بين يديه وسرت فما عاودت ذهني الا نعم الصلح[١٠] .

١) ترجم له في المنتظم ٣١١/٦–٣١٥

٢) اطلب التعريف به في كشف الظنون عمود [٩٤٧] وبروكلمن ، ملحق ١٨٢/١

٣) في الاصل القران

٤) كذا في الاصل ولعله يريد بساقط . راجع مادة سقط في اقرب الموارد

٥) كتب في الاصل القوناني

٦) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٧) في الاصل ابلس

٨) في الاصل فضن

٩) في الاصل اعذل

١٠) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٤١٣/٥ الا بغم الصلح

وندم البريدي على انفاذه بي وسقط عليه طاير يعرفه تعويل بجكم[1] على قصده وتضمن اغراوه بي فكان ذلك من كفاية الله تعالى[2] لي .

ووصلت دير العاقول وبها احمد بن نصر القشوري .

ولقيت بجكم[1] بالزعفرانية واجتهدت به في صلح البريدي فابى والحدرت معه .

وقبض على ابن شيرزاد لانه اشار عليه بمصاهرة البريدى وازال اسم البريدي عن الوزارة فكانت وزارته سنة واربعة اشهر واربعة عشر يوما ، واوقع اسمها على ابي القسم سليمان بن الحسن .

وزارة ابي القسم سليمان بن الحسن

وخلع عليه .

وانحدر بجكم بعد ان ضبط الطريق ممن ينشر خبره فوقع على حديديه طاير فاخذه وأذا به كتاب كاتبه (١٦٨/٧٧) يعرف اخاه انحداره وساير اسراره فاحضر الكاتب واوقفه فلم يجحد فرمي به في الزوينيات[3] جتى قتل ورمى به [في][4] الما .

وانحدر فوجد البريدى قد انحدر عنها .

وفي ذي الحجـة ورد بان رايقا اوقع بابي[5] نصر بن طغج اخي الاخشيد فانهزم اصحاب ابي نصر بعد ان قتل وكفنته[6] ابن رايق وانفذه في تابوت الى أخيه واستاسر قواده وانفذ مع التابوت ابنه ابا مزاحم[7] بن رايق وكتب معه يعزيه ويعتذر ويقول ما اردت قتله وقد انفذت ابني لتقيده به فتلقى الاخشيد فعله بالجميل وخلع على ابنه ورده الى ابيه واصطلحا عـلى ان يفرج ابن رايق الاخشيد عن الرملة ويكون[8] باقي [الشام][9] لابن رايق ويحمل اليه الاخشيد في كل سنة ماية واربعين الف دينار .

---

١) في الاصل بحكم ؛ بحاء مهملة ٢) في الاصل تعلى

٣) في تجارب الامم ٥/١٤٤ ؛ بالزوبينات

٤) زيادة يقتضيها السياق عن تجارب الامم ٥/١٤٤ ؛

٥) في الاصل بان رايقاً وقع بان والتصويب عن تجارب الامم ٥/١٤٤ ؛ وفي الكامل ٦/٢٧٤ ابو نصر ٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٥/١٤٤ ؛ وكفنه

٧) نسبه في الكامل ٦/٢٧٤ وتجارب الامم ٥/١٤٤ ؛ مزاحم بن محمد بن رايق .

٨) في الاصل ويكون والتصويب عن تجارب الامم ٥/١٤٤ ؛.

٩) زيادة عن تجارب الامم ٥/١٤٤ ؛ يقتضيها السياق

وكان بدر بن عمار الاسدي الطبرستاني يتقلد حرب طبرية لابن رايق وهو الذي مدحه المتنبي بقصايد عدة[١].

وعاد ابو نصر محمد ابن ينال الترجمان من الجبل منهزما من الديلم فانفذ بجكم[٢] من واسط من ضربه في منزله بالمقارع وقيده ثم رضي عنه .

وانحدر ابو عبدالله الكوفي الى واسط واستقرت له كتابة بجكم فكانت كتابة ابن شيرزاد تسعة عشر شهرا وثلاثة عشر يوما .

والتقى[٣] ركن الدولة بو شمكير وانهزم الفريقان ركن الدولة الى اصفهان [و][٤] وشمكير الى الري .

وفيها مات جستان .

وفيها توفي ابو عبدالله القمي الوزير لركن الدولة وتقلد مكانه ابو (١٦٩/٧٧) الفضل بن العميد .

سنة ثمان[٥] وعشرين وثلاثماية[٦]

فيها صادر بجكم[٢] ابن شيرزاد وقال اردت ان اعلم ايساره فقلت ان عندي مائة الف دينار اريد ايداعك اياها فما ارتاع وحملها اليه وطلبتها بعد مدة فكان يحملها تفاريقا فقلت ما السبب في هذا فقال انني لا آمن[٧] غير اختي ولا تقوى على حمل المال دفعة واحدة فقبض على اخته وبلغ بالقبض عليها ما اراده من ماله .

وفي ليلة النصف من شهر ربيع الاول مات الراضي بالله[٨] وقد انكسف

---

١) امراء الشعر العربي للمقدسي ، صفحة ٣٢٤ وعدتها ٦ قصائد
٢) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٣) في الاصل مكررة
٤) زيادة يقتضيها السياق
٥) في الاصل سبع
٦) طالت اخبار هذه السنة لانه وصل بها اخبار سنة ٣٣٠
٧) في الاصل ؛امن
٨) في البداية والنهاية ١٩٦/١١ حصلت وفاة الراضي سنة ٣٢٩ ، وترجم له ، وفي المنتظم ٣٢٤/٦

القمر جميعه وكان موته بعلة الاستسقا[١] وكان الراضي رحمه الله سمحاً شاعرا سخياً اديباً ومن شعره يرثي اباه المقتدر رحمه الله .

بنفسي ثرى[٢] ضاجعتَ في تربة البلا لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا[٣]

فلو ان حياً كان قبرًا لميت لصيرت احشائي لاعظمه قبرا

ولو ان عمري كان طوع مشيتي وساعدني المقدار قاسته العمرا[٤]

وحكى الخطيب في تاريخه قال[٥] كتب الراضي الى اخيه المتقي وقد جرى بينهما شيء في الكتب انا معترف لك بالعبودية[٦] والمولى يعفو وقد قال الشاعر :

يا ذا الذي[٧] يغضب من غير شي اعتب فعتباك حبيب الي

انت على انك لي ظالم اعز خلق الله كل[٨] علي

خلافة المتقي لله[٩]

وهو ابو اسحاق ابراهيم بن المقتدر بالله امه رومية وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا[١٠].

ورد كتاب بجكم[١١] لما بلغه موت الراضي بالله رحمة الله عليه على ابي عبدالله الكوفي بامره ان يجمع [كل][١٢] من كان يتقلد الوزارة بالحضرة واصحاب

---

١) في تجارب الامم ١٧/٥ ؛ الاستسقاء الرقي

٢) في الاصل ثرا

٣) ورد هذا البيت في البداية والنهاية ١٩٧/١١ ثالثاً

٤) هذه الابيات في الكامل ٢٧٦/٦ حصل ترتيبها كما يلي : الاول هو الاخر، والثاني هو الاول ، والثالث هو الثاني

٥) تاريخ بغداد ١٤٤/٢

٦) في تاريخ بغداد ١٤٤/٢ زاد فرضا ، وانت معترف لي بالاخوة فضلًا والعبد يذنب والمولى يعفو

٧) في الاصل اللذي

٨) في البداية والنهاية ١٩٧/١١ طرا

٩) ذكرها في البداية والنهاية في جملة اخبار سنة ٣٢٩ وترجم له في المنتظم ٣١٦/٦

١٠) في الاصل هذه المقدمة وهذا العنوان كتبا بحرف كبير تمييزًا لها كعنوان

١١) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

١٢) زيادة عن الكامل ٢٧٧/٦ وتجارب الامم ٢/٦ يقتضيها السياق

الدواوين والقضاة[١] والفقها والعلويين والعباسيين ووجوه البلد ويحضرهم الى ابي القسم سليمان بن الحسن وينصبون للخلافة من يحمدوه .

فلما اجتمعوا قال محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي يكون الخطاب سرا فخلا الكوفي في بيت وجعل الرجل والرجلان يدخلان اليه فيقول لهما قد وصف لنا ابراهيم بن المقتدر بالله فيظنان ان ذلك عن أمر ورد من بجكم[٢] في معناه فيقولان هو لذلك اهل فاحضر الى دار بجكم[٢] وعقد له الامر ولقب المتقي لله.

وحمل الى بجكم[٢] من دار الخلافة قبل تقلد المتقي فرشا وآلات[٣] اختارها.

وانفذ المتقي لله عند بيعته مع ابي العباس الاصفهاني[٤] خلعا ولواء الى بجكم[٢] وخلع على سلامة الطولوني وقلده حجبته واقر ابا القسم سليمان بن الحسن على الوزارة.

وورد الخبر بدخول ابن علي بن ($\frac{١٥١}{٧٨}$) محتاج[٥] في جيش خراسان الى الري وقتله ما كان الديلمي صاحب جرجان وحاصر بها حتى تركها ومضى[٦] الى سارية فاستولى ابو علي على جرجان .

وتعاضد ابو علي وركن[٧] الدولة على محاربة وشمكير حين اشتد بنا كان التقى الفريقان واظهر ما كان شجاعة شديدة فاتاه سهم عابر فنفذ في خوذته وطلع من قفاه فسقط ميتا .

وافلت وشمكير بعد ان اسر اكثر اصحابه .

وحمل ابن محتاج من رؤس القتلى ستة الاف[٨] راس الى خراسان فيهم رأس ما كان.

وجلس ابو علي بن محتاج للعزاء[٩] واظهر الحزن عليه .

وقال الحسن بن الفيروزان[١٠] ابن عم ما كان ان وشمكير أسلمه وكان الحسن شجاعا وقصد ابن محتاج فقتله[١١] وقصد وشمكير فكان بينهما حرب على باب سارية[١٢] أياما.

---

١) في الاصل القضات ٢) في الاصل بجكم، بحاء مهملة ٣) في الاصل و«الات

٤) تنبه في تجارب الامم ٣/٦ هو ابو العباس احمد بن عبدالله الاصفهاني

٥) تنبه في الكامل ٣٧٨/٦ هو ابو علي محمد بن المظفر بن محتاج

٦) في الاصل ومضا ٧) في الاصل وكن ٨) في الاصل الف

٩) في الاصل للغرابة والتصويب عن تجارب الامم ٧/٦

١٠) في تجارب الامم ٧/٦ الفيرزان

١١) في تجارب الامم ٧/٦ فنبله وساعده على قصد وشمكير

١٢) اطلب التعريف بها في معجم البلدان ١٧٠/٣ طبعة داري صادر وبيروت

ثم ورد على ابي علي وفاة[١] صاحبه نصر ابن احمد[٢] فصالح وشمكير واخذ ابنه[٣] رهينة وانحدر معه الحسن بن الفيروزان[٤] وحقد عليه كيف لم يستخلفه على حرب وشمكير وانتهز غرته[٥] حين قاربا خراسان فوثب عليه فافلت منه وقتل صاحبه وانتهب سواده واستعاد ابن[٦] وشمكير وعاد الى جرجان فملكها فصالحه الحسن ورد عليه ابنه .

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير فهزمه واستامن اليه اكثر رجاله وصار بعد انهزامه الى خراسان وتزوج ركن الدولة بنت الحسن وهي والدة فخر الدولة.

وفي هذه السنة فرغ من بناء (١٥٢/٧١) مسجد براثا[٧] وجمع فيه .

وفيها ابتدا الغلا ببغداد وبلغ الكر من الدقيق مائة وستين دينارا[٨] وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة من غير غسل ولا صلاة وظهر من قوم فيهم دين وصدقة على الاحيا وتكفين الموتى وظهر من آخرين[٩] فجور ومنكرات وكان علي بن عيسى والبقري[١٠] يكفنان الناس على أبواب دورهما .

وسقطت القبة الخضرا التي هي قبة المنصور المعروفة بقبة الشعرا[١١] .

ونكب الكوفي هارون اليهودي جهبذ بن شيرزاد وبقي عليه من مصادرته ستون الف دينار فاخذت داره وكانت قديما لابراهيم ابن احمد المادراني راكبة دجلة والصراة وفيها بستان ابي الفضل الشيرازى ودار المرتضى وحمل هذا اليهودي الى بجكم[١٢] بواسط فضرب بين يديه بالدبابيس حتى مات .

---

١) في الاصل وفات ٢) زاد في تجارب الامم ٧/٦ صاحب خراسان
٣) في تجارب الامم ٧/٦ يقال له سالار
٤) في تجارب الامم ٧/٦ الفيرزان
٥) في الاصل عرته والتصويب عن تجارب الامم ٧/٦
٦) تجارب الامم ٨/٦ يعني ابنه سالار
٧) عرّف بها ياقوت في معجم البلدان ٣٦٢/١ طبعة داري صادر وبيروت
٨) في المنتظم ٣١٨/٦ وتجارب الامم ٨/٦ وثلاثين ٩) في الاصل اخرين
١٠) في تجارب الامم ٨/٦ حاشية رقم النقري
١١) ذكر سقوط هذه القبة في المنتظم ٣١٨/٦ . والسيوطي في تاريخ الخلفاء ٢٦١ . وفي البداية والنهاية ٣٠٠/١١ . وجميعهم توسعوا في تاريخها واطنبوا
١٢) في الأصل بحكم ، بحاء مهملة

واظهر بجكم[١] العدل بواسط وبنى[٢] دار ضيافة وعمل البيمارستان[٣] ببغداد .
وخرجت الشتوة جميعها بغير مطر .
وانبثق[٤] نهر الدفيل[٥] ونهر بوا[٦] فلم يتلاقيا حتى خرجت[٧] بادوريا بضع عشرة سنة .
وانفذ البريدى جيشا الى المدار[٨] فانفذ بجكم[١] بتوزون فهزمهم بعد ان كسروه .
وجلس في رجب المعروف بغلام القاضي بجامع الرصافة وقص على مذاهب اهل العدل واجتمع اليه الناس .
ونصبت القباب بباب الطاق والرصافة لزوار الحاير[٩] على ساكنه السلم .
وتوفي البربهاري[١٠] مستترًا ودفن في تربة نصر القشوري .
وانحدر بجكم[١] حين بلغه (١٥٣/٦٩) كسر توزون اولا ولم يبلغه كسره لاصحاب البريدى وتم[١١] وقد عرف الفنا عن حضوره فلما بلغ نهر جور شره الى اموال اكراد هناك وقصدهم متهاونا بهم في عدد يسير من غلمانه في قميص فهرب الاكراد من بين يديه واستدار احدهم من ورايه من غير ان يعرفه فطعنه بالرمح في خاصرته فقتله[١٢] وذلك بين الطيب[١٣] والمدار يوم الاربعا لتسع بقين من رجب .
وكان البريديون قد عملوا على الهرب فوافاهم[١٤] من عسكره[١٥] الف وخمساية

١) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٢) في الاصل بنا
٣) في الاصل البيمارستان
٤) في الاصل وانبشق ، بالشين
٥) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٢/٦ الرفيل
٦) في تجارب الامم ٩/٦ بوق ، وفي الحاشية رقم ١ قال في الاصل نهر بو
٧) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٩/٦ خربت
٨) قال في الكامل ٢٧٩/٦ ان ابا عبدالله البريدي انفذ جيشًا من البصرة الى مذار . والمذار هذه عرفها ياقوت في معجم البلدان ٤٤٥/٥ وفي ٤٦٨/٤ والبكري في معجم ما استعجم ١٣٠٣/٤
٩) معجم البلدان ٢٠٨/٢ ، الحائر قبر الحسين بن علي (رض) طبعة داري صادر وبيروت
١٠) ترجم له في البداية والنهاية ٢٠١/١١
١١) كذا في الاصل
١٢) ترجم له في البداية والنهاية ٢٠٠/١١
١٣) عرفها ياقوت ٥٦٦/٣ بليدة بين واسط وخوزستان ، واهلها نبط الى الان ولغتهم نبطية ، وعند البكري في معجم ما استعجم ٩٠٠/٣ مدينة بين واسط والسوس
١٤) في الاصل فوقاهم ١٥) اي من عسكر بجكم

ديلمي فقتلوهم .

وعاد تكينك بالاتراك الى بغداد فنزلوا النجمي واظهروا طاعة المتقي .

وصار احمد[١] بن ميمون قديماً يدبر الامور والكوفي من قبله[٢].

فكانت امارة بجكم[٣] سنتين وثمانية اشهر وتسعة ايام وكتابة الكوفي له خمسة اشهر وثمانية عشر يوماً .

وكان بجكم[٣] يدفن امواله وحده فتتبع احد غلمانه اثره واستدل على موضع المال ودل المتقي على ذلك فاستخرج مالا عظيما ودفع التراب الى الحفارين فلم يقنعوا فامر بغسله فاخرجوا من التراب ستة وثلاثين الف درهم .

قال ثابت بن سنان قال بجكم[٣] قلت الصواب ان ادفن في الصحرا فربما حيل بيني وبين داري وكان الناس يشنعون انني اقتل من يدفن معي وما كنت افعل ذلك بل كنت آخذ[٤] المال في الصناديق واترك معها الرجال الذين اثق بهم واحملهم فيها مقفلا عليهم ($\frac{١٥٦}{٨٠}$) على البغال واقود بنفسي القطار وافتح عن الرجال ولا يدرون اين هم من الارض واذا دفنوا اعدتهم على هذه الصفة .

[و][٥] قدم الترجمان من واسط فاقره المتقي لله على الشرطة ببغداد .

واصعد البريديون الى واسط في سبعة آلاف[٦] رجل فانفذ اليهم المتقي الى واسط ثمانية وخمسين الف دينار وامرهم بالمقام بواسط فلم تقنعهم .

وفرق المتقي في الاتراك اربع مائة الف دينار .

واصعد البريدي [من واسط الى بغداد][٧] فلما قرب اضطربت الاتراك البجكمية[٨] وسار بعضهم الى الموصل واستأمن بعضهم اليه .

واستتر الكوفي وانتقل كثير من ارباب النعم واشار بعض اصحاب علي بن عيسى عليه بالاصعاد الى الموصل فاستاجر سفنا ليصعد فيها رحله بمايتي دينار ثم استدعى[٩]

١) كناه في الكامل ٦/٢٧٩ فقال ابو الحسين

٢) في تجارب الامم ٦/١١ وصار احمد بن ميمون كاتب المتقي لله قديماً هو المدبر وصار ابو عبدالله الكوفي من قبله

٣) في الاصل بحكم، بحاء مهملة وترجم له في المنتظم ٦/٣٢٠

٤) في الاصل ،اخذ

٥) ترتيب يقتضيه السياق

٦) في الاصل ،الاف

٧) زيادة عن الكامل ٦/٢٧٩ يقتضيها السياق

٨) في الاصل البحكمية

٩) في الاصل استدعا

صاحبه فقال ايرب مخلوق الى مخلوق اصرف الدنانير في الصدقة .

وانحدر البريدي حين قرب فتلقاه واكرمه ومنعه ان يخرج من طياره وانتقل[1] اليهم وشكر بره .

ودخل البريدي بغداد ومعه اخوه ابو الحسين فابنه ابو القسم وابو جعفر بن شيرزاد لليلتين خلتا من شهر رمضان ونزلوا الشفيعي[2] وكان معه من الزبازب والطيارات والحديديات والشذآت[3] ما لا يحصى .

وتلقاه الوزير ابو الحسين ابن ميمون والكتاب والعمال والقضاة[4] وانفذ المتقي يعرفه انه بقربه وحمل اليه الطعام والهدايا عدة ليال .

وكان ابن ميمون (١٥٥ب) والبريدي يخاطب كل واحد منهما صاحبه بالوزارة ثم انفرد بها البريدي خاصة .

فكانت وزارة ابن ميمون شهرا وثلاثة ايام ثم قبض عليه واحدره الى البصرة فمات فيها .

فاستكتب المتقي لله على خاص أمره ابا العباس احمد بن عبدالله الاصبهاني .

ولم يتلق البريدي بالمتقي ومضى[5] اليه الامير أبو منصور بن المتقي لله بالنجمي ليسلم عليه فلبس البريدي ثياب سواده وتلقاه في احسن زي ونثر عليه الدنانير .

وراسل المتقي على يد القاضي احمد بن عبدالله بن اسحاق الخرقي وابي العباس الاصبهاني يطالبه بحمل المال فقال للقاضي انصحه[6] وعرفه خبر المعتز بالله ان خليته[7] مع الاوليا ليطلبن نفسه فلا يجدها .

---

١) في تجارب الامم ١٤/٦ وانتقل هو – اي عبدالله الكوفي – اليه
٢) في تجارب الامم ١٥/٦ البستان الشفيعي
٣) في الاصل الشذاات
٤) في الاصل القضات
٥) في الاصل ومضا
٦) في الاصل انصه ، والتصويب عن تجارب الامم ١٦/٦
٧) في تجارب الامم ١٦/٦ والله لئن خليتك والاولياء ، لتطلبن نفسك فلا تجدها . . .

فكان الجواب ان حمل اليه خمساية الف دينار فوهب للخرقي منها خمسة آلاف[١] دينار بعد مايه وخمسين الف دينار فوهب للخرقي منها خمسة آلاف[١] دينار .

وكان البريدي يامر عسكره بالتشغيب على الخليفة فرجعت المكيدة عليه حتى شغبوا .

واجتمع الديلم فراسوا على انفسهم كورنكج[٢] بن الفاراضي الديلمي بالقبض عليه وقصدوا البريدي وهو بالنجمي وعاونهم العامة فقطع البريدي الجسر ووقعت الحرب في الما وثبت[٣] العامة باسباب البريدي في الجانب الغربي فهرب ابنه واخوه في الما الى واسط ونهبت[٤] داره ودور قواده وحمل بعض ما حمل اليه المتقي من المال .

واستتر ابن شيرزاد فنهبت داره (١٥٦/٨١) ودور قواده .

وظاهر[٥] سلامة الطولوني وبدر الخرشني .

وهرب البريدي من بغداد .

امارة كورنكج[٢]

وحصلت الامارة لكورنكج ثاني شوال ولقي المتقي في ثالثه فقلده امير[٦] الامرا وعقد له اللوا وخلع عليه .

ودبر الامر علي بن عيسى وأخوه [عبد الرحمان بن عيسى][٧] من غير تسمية بوزارة .

وغرق الامير ابو شجاع كورنكج تكينك[٨] خامس شوال .

---

١) في الاصل الاف

٢) في الكامل ٦/٢٨٠ كورتكين وفي تجارب الامم ٦/١٧ و ٩٨ كورنكيج

٣) في الكامل ٦/٢٨٠ وتجارب الامم ووثب العامة

٤) في الاصل مكررة

٥) في الاصل وطهر

٦) في الكامل ٦/٢٨٠ وتجارب الامم ٦/١٨ امارة

٧) زيادة عن الكامل ٦/٢٨٠ وتجارب الامم ٦/١٨

٨) في الاصل نكيك والتصويب عن الاصول المعروفة

واجتمعت العامة يوم الجمعة وتظلموا من نزول[١] الديلم في دورهم وكسروا المنبر ومنعوا من اقامة الصلاة وقتل بينهم وبين الديلم جماعة .

فلما كان بعد تسعة ايام من نظر علي بن عيسى استوزر المتقي ابا اسحاق محمد ابن احمد الاسكافي المعروف بالقراريطي .

واخرج الامير كورنكج اصبهان الديلمي الى واسط ليحارب البريدي .

وظهر ابن سنجلا وقريبه[٢] علي بن يعقوب من استتارهما فقبض القراريطي عليهما حين صارا اليه وصادرهما بعد مكروه شديد على ماية وخمسين الف دينار .

وبلغ ابن رايق[٣] قتل بجكم[٤] فسار من الشام .

ولم يقبل ابو محمد بن حمدان من صار اليه من اصحاب بجكم[٣] مثل توزون وصيعون[٥] ونفذوا الى ابن رايق فكتب اليه المتقي يستدعيه الى الحضرة فسار من دمشق وعاد اصبهان الى بغداد وحمل ابو محمد بن حمدان الى ابن رايق ماية الف دينار .

وقبض كورنكج[٦] على $(\frac{١٥٧}{٨١})$ القراريطي فكانت مدة وزارته ثلاثة واربعين يوما .

وقلد الوزارة ابا جعفر محمد بن القسم الكرخي وخلع المتقي عليه .

وخطب بنو[٧] البريدي بواسط والبصرة لابن رايق .

فلما قرب ابن رايق من بغداد خرج اليه كورنكج وانتهى[٨] الى عكبرا واتصلت الحرب بينهما ثم دخل [ابن[٩]] مقاتل ومعه قطعة من الجيش وبعده ابن رايق وعبر من النجمي الى دار السلطان وسال المتقي الركوب معه فركب معه الى الشماسية وانحدرا في الماء ودخل المتقي دار الخلافة وعبر ابن رايق الى النجمي .

١) في الاصل نزل
٢) في تجارب الامم ١٩/٦ وسَلِفُه
٣) في تجارب الامم ١٩/٦ محمد بن رائق
٤) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٥) في تجارب الامم ١٩/٦ والكامل ٢٨٠/٦ صينون
٦) في الكامل ٢٨٠/٦ كورتكين
٧) في الاصل بنوا
٨) في الاصل وانتها
٩) زيادة عن تجارب الامم ٢٠/٦ يقتضيها السياق

ووصل كورنكيج واصحابه الى بغداد متهاربين[١] بابن رايق وجعلوا يقولون اين نزلت القافلة الشامية[٢] .

واتى كورنكيج دار السلطان فدافع عنها لولو وبدر الجرشني .

وعمل ابن رايق على الرجوع الى الشام وانفذ سواده .

واتفق حصول ابن رايق في سميريات بدجلة ليعبر فصادفهم كورنكيج فراشقوا بالزوبنات والنشاب وصاحت العامة فهرب كورنكيج ورماهم العامة بالستر والاجر فانهزم اصحابه واستتر هو .

وظهر الكوفي الى خدمة ابن رايق وقتل ابن رايق اربعماية ديلمي صبرا اعطاهم الامان ولم يسلم منهم غير رجل واحد[٣] وقع بين القتلى ورمي به معهم الى دجلة وعاش مدة طويلة وقتل جماعة من قوادهم وانهزم بعضهم فباتوا بنجان[٤] بجسر النهروان فبيتوا عليهم فهلكوا .

وخلع المتقي على ابن رايق لاربع[٥] بقين من ذي الحجة وطوقه وسوره وعقد له اللوا وقلده امرة الامرا (١٥٨/٨٢) والزم الكرخي[٦] بيته فكانت وزارته ثلاثة وخمسين يوما .

واطلق القراريطي الى منزله .

وزادت الفرات في السادس والعشرين من ايار زيادة غرقت هيت وسقط سورها وغرقت محال ببغداد وهدمت القنطرتين بالصراة وسقطت[٧] الدور التي عليها .

وفي هذه [السنة][٨] تقلد القاضي ابو الحسين احمد بن عبد الله الخرقي القضا بمصر والحرمين وخلع عليه .

---

١) في تجارب الامم ٦/٢١ وهم في غاية التهاون

٢) في الاصل الشامية

٣) اسمه في تجارب الامم ٦/٢٢ خذ اكرد

٤) في الاصل نجار وفي تجارب الامم ٦/٢٢ وكان من المنهزمين من الديلم قوم مضوا في الهزيمة الى طريق خراسان ، فلما تجاوزوا جسر النهروان باتوا في بعض الخانات . . . ولعل ما اعجم اعلاه المراد به نجان

٥) في الاصل لاربعين والتصويب عن تجارب الامم ٦/٢٢ ٧) في الاصل سقط

٦) في تجارب الامم ٦/٢٢ ابو جعفر الكرخي ٨) زيادة يقتضيها السياق

سنة ثلاثين وثلاثمائة

انحدر ابن رايق في عاشر المحرم الى واسط حين اخر عنه البريدى ما ضمنه فهرب عند قربه منها البريدي الى البصرة وانفذ اليه مـاية وسبعين الف دينار وضمن حمل ستماية الف دينار في السنة .

فاصعد ابن رايق الى بغداد وانفذ صاحب خراسان الى المتقي بالله هـدايا من غلمان اتراك وطيب وخيل على يدى ابي العباس بن شقيق[1] وانفذ معه براس ما كان فشهر ببغداد في دجلة .

وشغب توزون والاتراك على ابن رايق وساروا[2] الى البريـدي فقوي بهم ولقوه بواسط .

وكوتب البريدى من الحضرة بالوزارة واستخلف له ابن شيرزاد[3] ثم عول على الاصعاد الى الحضرة فركب المتقي وابنه وابن رايق بين ايديهم المصاحف المنشورة واستفروا[4] العامة ، ولعن بنو[5] البريدي على المنابر .

واصعد ابو الحسن[6] البريدي الى بغداد في جيش اخيه فاستامن اليه قرامطة ابن رايق .

وعمل ابن رايق على التحصن بـدار السلطان[7] ونصبت العرادات[8] على سورها واستنهض العامة فكان ذلـك سببا للفتن . واحرقوا نهر طابق (١٥٩/٨٣) وكبسوا المنازل ليلا ونهارا .

---

١) في تجارب الامم ٢٣/٦ العباس بن شقيق

٢) في الاصل وناروا ، والصواب ما اثبتنا كما يتضح من السياق

٣) في الكامل ٢٨٣/٦ واستخلف ابا عبد الله بن شيرزاد ، واستخلف له ابا جعفر بن شيرزاد

٤) كذا في الاصل ولعله يريد واستنفروا ، وفي تجارب الامم ٢٣/٦ واستنفر العامة (اي المتقي) لقتال البريدي

٥) في الاصل بنوا

٦) في تجارب الامم ٢٣/٦ ابو الحسين

٧) في البداية والنهاية ٢٠١/١١ فتحصن ابن رايق مع الخليفة بدار الخلافة

٨) من الات الحرب اصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة المرمى البعيد مفردها العرّادة اقرب الموارد ٧٦١

واشتبكت الحرب بين ابي الحسين البريدى وابن رايق في الما واشتدت الحرب في حادي عشر من جمادى الاخرة وملك الديلم من اصحاب البريدى دار السلطان فخرج وابنه هاربين ومضوا [الى][1] باب الشماسية فلحق بهم ابن رايق واصعدوا الى الموصل فيها .

وقيد كورنكج[2] وحدره الى اخيه فكان آخر[3] العهد به .

وكان القاهر محبوسا ، فتركه[4] الموكلون [به][5] فخرج فري وهو يتصدق بسوق الثلاثا فبلغ ذلك البريدى فانفذ من اقامه واجرى له في كل يوم خمسة دراهم.

ونزل البريدي دار مونس وقلد توزون الشرطة فلما وليها سكنت الفتنة واخذ أبو الحسين حرم توزون وعيالات القواد رهينة وانفذهم الى اخيه .

وغلت الاسعار .

وظلم البريدى الناس وافتتح الخراج في اذار وافتتح الجزية[6] واخذ الاقويا بالضعفا وقرر على الحنطة وساير المكيلات من كل كر سبعين درهما وقبض على خمساية كر وردت للتجار من الكوفة وادعى[7] انها للحسن بن هارون فقلد الناحية .

وهرب خجخج الى المتقي لله .

وتحالف توزون ونوشتكين[8] والاتراك على كبس أبي الحسين البريدى فغدر نوشتكين[9] بتوزون[10] .

---

١) زيادة يقتضيها السياق عن تجارب الامم ٢٥:٦

٢) في البداية والنهاية ٢٠٢/١١ واخرجوا كورنكين من الحبس ، وفي تجارب الامم ٢٥/٦ قال : واما كورنكيج فقيده وحدره الى اخيه ابي عبدالله

٣) في الاصل ءاخر

٤) في البداية والنهاية ٢٠٢/١١ ولم يتعرضوا للقاهر وهو اذ ذاك اعمى مكفوفا .

٥) زيادة يقتضيها السياق

٦) في تجارب الامم ٢٥/٦ الجوالي

٧) في الاصل وادعا

٨) في المنتظم ونوزنكين

٩) في الاصل نوستكين والتصويب عن الاصول

١٠) في الاصل تتوزون

ونمي الخبر الى أبي الحسين فتحرز وأحضر الديلم فاستظهر بهم .

وقصد توزون دار ابي الحسين وغلقت الابواب دونه .

وانكشف لتوزون غدر نوشتكين [به][1] فلمنه وانصرف ضحوة نهار يوم الثلاثا ومضى[2] معه قطعة وافرة من الاتراك الى الموصل

وقاتلت العامة البريدي (١٦٠/٨٣) فتقوى ابن حمدان بتوزون وبالاتراك وعمل على الانحدار مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك البريدى فكتب الى اخيه يستمده فامده بجماعة من الديلم والقواد .

واخرج ابو الحسين مضربة الى باب الشماسية واظهر انه يحارب ابن حمدان وذلك بعد ان قتل ابن حمدان[3] ابن رايق وكان سبب قتله ان ابن حمدان كان بشرقي الموصل وابن رايق والمتقي بغربيها فما زالت المراسلات بينهم حتى توثق بعضهم من بعض [و][4] حتى انس بهم .

فعبر الامير ابو منصور بن المتقي لله ومعه ابن رايق[5] يوم الاثنين لتسع بقين من رجب الى ابن حمدان فلقيهم أجمل لقاء ونثر على الامير الدنانير

فلما أراد الانصراف ركب الامير أبو منصور وقدم فرس ابن رايق ليركب من داخل المضرب فامسكه ابو محمد بن حمدان وقال تقيم عندي اليوم لنتحدث فان بيننا ما نتجاراه فقال له ابن رايق امضي في خدمة الامير واعود فالح عليه ابن حمدان الحاحا استراب به ابن رايق فجذب كمه من يده حتى تخرق وكانت[6] رجله في الركاب فشب به الفرس فوقع وقام ليركب فصاح ابو محمد لغلمانه ويلكم لا يفوتكم فقتلوه .

وانفذ للمتقي لله ان ابن رايق أراد أن يغتاله فرد عليه المتقي أنه الموثوق به .

وعبر الى المتقي فخلع عليه وعقد له لواء ولقبه ناصر الدولة وجعله امير

---

١) زيادة عن الكامل ٢٨٥/٦ يقتضيها السياق
٢) في الاصل ومضا
٣) في تجارب الامم ٢٦/٦ ابو محمد بن حمدان
٤) زيدت ليستقيم سياق الكلام
٥) في تجارب الامم ٢٧/٦ ابو بكر بن رائق
٦) في الاصل وكان

الامرا وكناه وذلك مستهل شعبان وخلع على أخيه علي وعلى ابي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القراريطي بتقليد (١٦١/٨٣) الوزارة .

ولما قارب المتقي بغداد هرب أبو الحسين البريدى عنها الى واسط .

ودخل المتقي وناصر الدولة وأخوه الشفيعي[1] .

ولقي القراريطي المتقي لله وناصر الدولة .

وتقلد أبو الوفا بتوزون الشرطة .

وخلع المتقي على القراريطي خلع الوزارة لليلتين خلتا من ذي القعدة .

وخلع بعد[ذلك][2] على ناصر الدولة وأخيه وطوقها وسورهما .

واتاهم الخبر ان البريدى على قصد بغداد فعبر حينئذ المتقي وناصر الدولة الى الجانب الغربي وسار أبو الحسن علي بن عبد الله ابن حمدان في الجيش الى الكيل ولقيهم البريدى بها ومعه ابن شيرزاد وابن قرابة في الديلم وجيش عظيم .

فكانت الوقعة مستهل ذي الحجة يوم الاربعا ويوم الخميس ويوم الجمعة .

ومع ابن حمدان توزون وخجخج والاتراك فانهزم علي وأصحابه الى المداين فردهم ناصر الدولة الى الكيل فانهزم حينئذ البريدي واستوسر من أصحابه يانس وجماعة[3] من قواد البريدي .

وعاد الى واسط واستامن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترجمان وجماعة من قواد البريدي وعاد منهزما مفلولا .

وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد انحدروا منها فاقام بها .

ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثاني عشر ليلة بقيت من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدى وأصحابه مشهرين[4] على رؤوسهم البرانس وسار في الجانب الغربي الى دار عمه ابي الوليد سليمان بن حمدان وهي بالقرب من الجسر ولاجل هذا لقب (١٦٢/٨٤) المتقي لله ابا الحسن علي بن حمدان بسيف الدولة وكتب في ذلك ابن ثوابه كتابا .

---

١) في تجارب الامم ٢٨/٦ البستان الشفيعي

٢) زيادة يقتضيها السياق

٣) في تجارب الامم ٢٨/٦ تعريف بهذه الجماعة وافرادها وهم ابو الفتح بن ابي طاهر، ومحمد بن عبدالصمد، ومذكر البريدي، والفرج كاتب جيش البريدي ٤) في الاصل مسهرين

ولاجل هذا يقول المتنبي في قصيدته في سيف الدولة :

انا منك بين مكارم وفضائل[1] ومن ارتياحك في غمام دائم

يقول فيها :

ان الخليفة لم يسك[2] سيفه حتى ابتلاك فكنت عين الصارم

فاذا تتوج كنت درة تاجه واذا تختم كنت فص الخاتم

قال ابو الفتح يقال فص وفص والفتح اكثر :

واذا انتضاك على العدى[3] في معرك هلكوا وضاقت كفه بالقائم

وظهر الكوفي لناصر الدولة وخدمه .

واخذ ابو زكريا السوسي لابن مقاتل امانا[4] وشرط ان استقر ما بينه وبين ناصر الدولة تم الظهور والا عاد الى استتاره .

فلما عاد لم يتمش بينها امر فقال له[5] عد الى استتارك فقال ابن مقاتل لم اجد عهدا[6] واذا شئت فعلت .

فضج ناصر الدولة من ذلك وعلم انها حيلة وقعت عليه فصحح امره على مائة وثلاثين الف دينار وعلى ان ينفذ جيشا الى حلب ليفتحها وصح له خمسين الف دينار .

ونظر ناصر الدولة في امر النقد وطالب بتصفية العين والورق وضرب دنانير سماها الابريزيه[7] وبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد ان كان عشرة وكتب ابن ثوابة عن المكتفي في ذلك كتابا .

وفي هذه السنة توفي ابو الحسن علي بن اسماعيل بن بشر الاشعري المتكلم[8]

---

١) في الديوان ٢٩٦ بين فضائل ومكارم

٢) في الاصل يمسك والتصويب عن الديوان

٣) في الاصل العدا

٤) في تجارب الامم ٣٠/٦ فاخذ له امانا من ناصر الدولة

٥) في تجارب الامم ٣٠/٦ فقال له ناصر الدولة

٦) في تجارب الامم ٣٠/٦ قال : لم اجدُ الى ذلك حدا

٧) في الاصل الان نريه والتصويب عن الكامل ٢٨٥/٦ وتجارب الامم٦/٣١ والبداية والنهاية ٢٠٣/١١

٨) ترجم له في البداية والنهاية ٢٠٤/١١ نقلا عن الكامل ، وفي ٣٣٢/٦ من المنتظم ترجم له في جملة اخبار ٣٣١ ، ونسبه في الكامل ٢٨٩/٦ قال : ابو الحسن علي بن اسمعيل بن ابي بشر الاشعري ، صاحب المذهب المشهور

وولد سنة ستين ومايتين [٨٣٧] ($\frac{١٦٣}{٨٤}$) ودفن في مشرعة الروايا في تربة الى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام على يسار المار من السوق الى دجلة اخبر بذلك الخطيب[١] عن ابن برهان وعمرها ابو سعيد الصوفي في زماننا.

سنة احدى وثلاثين وثلاثماية

ورد الخبر بان الامير معز الدولة[٢] وافى من الاهواز الى عسكر ابي جعفر بازاء نهر معقل[٣] وأظهر ان السلطان كاتبه حتى يحارب البريدى فاقام مدة يحاربهم ثم عاد الى الأهواز .

وورد الخبر بورود الروم قريب من نصيبين فسبوا وأحرقوا .

وضرب ناصر الدولة ابا علي هارون بن عبد العزيز الاوار حتى على ضعف جسمه سبعاية مقرعة وصادره على عشرين الف دينار وكان يكتب لابن مقاتل وصادر جماعة من أسبابه وعمل لدار عمه أبي الوليد[٤] في دجلة أنفق عليها مالا وزوج ابنته عدوية من الامير أبي منصور ابن المتقي ووكل في العقد ابا عبدالله بن أبي موسى[٥] الهاشمي وكان الخطيب[٦] أبو الحسن الخرقي فلحن في خطبته وتم العقد ابن أبي موسى على صداق خمساية الف درهم وتعجيل ماية الف دينار.

وقبض القراريطي على جماعة من الكتاب وصادرهم .

وقبض على أبي القسم بن زنجي فامتنع من الغذا أياما وبقي لا يتكلم فحمله الى منزله خوفا عليه من حادثة في اعتقاله وظنه انه يموت من يومه ووكل به في منزله فدبر أمره واستتر .

وقبض على[٧] ($\frac{١٦٤}{٨٥}$) أبي الفتح بن داهر العامل وكان يوسع على المكلفين الموكلين ويسقيهم الشراب فاطعمهم يوما قطايفا مبنجا فنام وهرب .

---

١) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ٣٤٦/١١–٣٤٧

٢) في تجارب الامم ٣٧/٦ الامير ابو الحسين احمد بن بويه

٣) في تجارب الامم ٣٧/٦ بازاء البصرة

٤) بعدها بياض في الأصل

٥) في تجارب الامم ٣٧/٦ ابي عبدالله محمد بن ابي موسى الهاشمي

٦) في تجارب الامم ٣٧/٦ الخاطب

٧) مكررة في الاصل

وأحدث القراريطي سوما في الظلم فلم يمهله الله تعالى[١] فعبر الى دار ناصر الدولة فقبض عليه وعلى أصحابه فكانت وزارته ثمانية أشهر وستة وعشرين يوما .

وفي جمادى الاولى هرب قطعة من الجيش الى البريدى .

واغاث الله تعالى[١] الضعفا عند تعذر الخبز بجراد اسود[٢] فبيع كل خمسين رطلا بدرهم[٣] .

وزارة ابي العباس الاصفهاني

ولما قبض ناصر الدولة على القراريطي جعل الوزارة الى ابي العباس احمد بن عبدالله الاصفهاني وخلع عليه المتقي خلع الوزارة ولبس القبا والسيف والمنطقة وابو عبدالله الكوفي المدبر للامور .

وصادر القراريطي على خمسماية الف درهم وحمل الى دار ابن ابي موسى الهاشمي .

وكان ناصر الدولة ينظر في احوال الناس كما[٤] ينظر أصحاب الشرط وتقام الحدود بين يديه .

وصار عدل صاحب بجكم[٥] بعده الى ابن رايق وبعده الى ناصر الدولة فقلده الرحبة واستولى عليها وكثر اتباعه فانفذ ناصر الدولة بدر الخرشني لحربه .

ثم صار بدر بالنداية توقف عن المسير الى عدل وكاتب الاخشيد محمد بن طغج وهو بدمشق يستاذنه في المسير اليه فاذن له وانفذ اليه القرب والجمال والروايا فسلك بدر البرية ووصل دمشق فقلده ($\frac{١٦٥}{٨٥}$) الاخشيد المعاون بها وجعلت الرحبة واعمال الفرات لعدل وعامله أبو علي النوبختي .

---

١) في الاصل تعلى

٢) في المنتظم ٦/٣٣١ من الجراد الاعرابي الاسود

٣) زاد في المنتظم ٦/٣٣١ فكان ذلك معونة للفقراء لشدة غلاء الخبز

٤) في تجارب الامم ٦/٣٨ وفيا

٥) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

وحصل لعدل من المصادرات الفي الف درهم فاتسعت يده وكثر رجاله واقبل الديلم والاتراك يقصدونه من بغداد في المرقعات فخلع عليهم .

وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه اراد المضي الى يانس المونسي بالرقة فمنعه عدل من ذلك فقال له سهلون قد كثر اتباعك ولا يفي بمزونتكم ما في يديك[1] وانا اكتب عن ناصرالدولة الى يانس بتسليم الرقة اليك فتبعه على ذلك .

وبلغا الخانوقه[2] فقال له سهلون الراي ان اتقدمك اليه فطلب منه رهينة فقال ان رآك[3] وقد اخذت رحلي[4] فطن فتركه فلما حصل بالرقة مع يانس كاتبا بني نمير .

فلما عرف عدل الصورة سار الى نصيبين فلقيه الحسين بن سعيد بن حمدان ، فاستامن اصحاب عدل الى الحسين فاسره وابنه وسلمها وانفذهما الى ناصرالدولة وشهرهما على جملين .

وحصل سيف الدولة بواسط ودافعه اخوه ناصر الدولة بحمل[5] المال .

وكان توزون[6] وججوجح[7] يسيئان الادب عليه فضاق ذرعا بتحكمها فانفذ اليه ناصر الدولة ابا عبدالله الكوفي في الفي الف درهم وخمسين الف دينار .

فلما وصل الى واسط قام توزون وحوجوح الى الكوفي فشتماه واسماه مكروها فخباه سيف الدولة في بيت وقال اما تستحيان مني .

فلما كان يوم الاحد آخر[8] شعبان كبس ($\frac{٦٦١}{٨٦}$) الاتراك سيف الدولة واحرقوا سواده فهرب ولزم نهرا يقال له الجازور فاداه الى قرية تعرف ببرقه ، ولزم البرية حتى وصل الى بغداد واتبعوه فرسخا .

---

١) في الاصل بدنك
٢) في الاصل الخالوقه والتصويب عن معجم ما استعجم ٢/٤٨٥ ، وتجارب الامم ٦/٤٠ ،
٣) في الاصل ر١ك
٤) في تجارب الامم ٦/٣٩ الحاشية ، رحلي
٥) في الاصل لحمل
٦) في البداية والنهاية تورون ، براء مهملة
٧) في تجارب الامم ٦/٣٩ والكامل ٦/٢٩٠ خجخج
٨) في الاصل اخر

وعاد توزون وجوجوح الى معسكرهما .

ووصل الكوفي الى بغداد لليلتين خلتا من شهر رمضان ولقي ناصر الدولة وعرفه الصورة فاصعد الى الشماسية وركب المتقي لله اليه فساله التوقف عن الخروج من بغداد ونهبت داره رابع شهر رمضان .

وافلت يانس غلام البريدى وعاد الى صاحبه .

فاستتر الكوفي وابن مقاتل .

وخرج الديلم الى المصلى وضبط الاتراك الذين بالبلد ببغداد ثم عاد الديلم .

ودبر الامور القراريطي .

وانعقدت الرياسة بواسط لتوزون بعد منازعة من جوجوح[١] له ثم تظاهرا[٢]

وكانت مدة وقوع اسم الوزارة على أبي العباس الاصفهاني أحدا وخمسين يوما ومدة امارة ناصر الدولة أبي محمد الحسن[٣] عبدالله بن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام .

وتقدم توزون الى جوجوح بالانحدار الى نهر ابان ورد البريدي عن واسط ان قصدها .

ووافى رسول البريدي عيسى بن نصر الى توزون يهنيه بالامارة ويساله ان يضمنه اعمال واسط ويعرفه ان الراي ان يعجل الى الحضرة ويخرج ابن حمدان عنها فاجابه أن عسكرى عسكر بجكم[٤] الذين جربت واذا استقرت الامور تكلمنا في الضمان ($\frac{١٦٧}{٨٦}$) واتبعه جاسوسا يعرفه ما يجري بينه وبين جوجوح فعاد الجاسوس وعرفه أن جوجوح على الاستيمان الى البريدي فسار اليه توزون[٥] في ثاني عشر شهر رمضان في مائة من الاتراك فكبسه في فراشه .

فلما احس به ركب دابة النوبة واخذ لتاً ودفع عن نفسه[٦] ثم اخذ بعد ساعة وحمله توزون الى واسط فسمله في دار عبدالله بن يونس .

١) في الكامل ٢٩١/٦ وتجارب الامم ٤٢/٦: خجخج

٢) في الكامل ٢٩١/٦ وتصاهرا ، وفي تجارب الامم ٤٢/٦: ثم صاهر القواد بينها

٣) في الكامل ٢٩١/٦ الحسين

٤) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٥) في الاصل ناذون

٦) في تجارب الامم ٤٢/٦: ودفع عن نفسه سويعة

وزارة ابي الحسين بن مقلة

ولما انصرف ناصر الدولة[1] من بغداد قلد المتقي وزارته ابا الحسين علي بن محمد بن مقلة وخلع عليه في حادي عشر شهر رمضان .

وعاد سيف الدولة الى بغداد[2] فلما بلغ جرجرايا عرف سيف الدولة ذلك فأصعد عن باب حرب لسبع بقين من شهر رمضان ونزل دار يونس .

ولثلاث بقين من شهر رمضان دخل البريدي واسطا فاحرق ونهب واحتوى على الغلات .

امارة توزون

واقام توزون فخلع عليه المتقي وقلده امرة الامراء وعقد له لواء فاسرف بالخلع الى دار مونس واستكتب ابا جعفر الكرخي وقبض على جماعة من التجار وطالبهم بمال .

وقبض على ابي بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي .

واستتر منه ابن أبي موسى الهاشمي لتحققه بناصر الدولة ($\frac{١٦٨}{٨٧}$) وكان قد اسر عند هزيمة سيف الدولة غلاما حظيا[3] عند سيف الدولة فاطلقه ووهبه لسيف الدولة وبعثه اليه حين حصل ببغداد اذ تحسن[4] هذا الفعل من ناصر الدولة وسيفها حتى قال ناصرالدولة قد قلدت توزون الحضرة واستخلفته هناك فسكنت نفسه حينئذ .

وغلا السعر ببغداد حتى بيع اربعة ارطال بدرهم .

ووجه بالديلم الى قطيعة ام جعفر فكبسوا الدكاكين واخذوا من الدقيق وقر زورقين عظيمين وواثبهم العامة .

---

١) كذا في الاصل وفي الكامل ٢٩١/٦ لما بلغ وصول توزون بنداد الى سيف الدولة رحل من باب حرب الى بنداد . وفي تجارب الامم ٤٤/٦ ؛ ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاد (اي توزون) رحل من باب حرب مع من انضم . . . ومضى على وجهه

٢) لعله يريد ناصر الدولة المتقدم ذكره

٣) في الاصل حضيا ، وفي تجارب الامم ٤٤/٦ ؛ سماه ثمل

٤) كذا في الاصل وفي الكامل ٢٩١/٦ وتجارب الامم ٥/٦ ؛ فحسن

وانحدر ثالث عشر ذي القعدة وخلف ببغداد الترجمان .

وخطب ابن مقلة كتابة توزون لعمه ابي عبدالله وانفذ اليه هديه منها عشرون ثوبا دبيقيا وعشرون ردا. قصبا وطيبا وذلك بعد ان استكتب توزون القراريطي وصرف النوبختي فلم يجب توزون الى ذلـك وقال لا يحسن[١] بي صرفه بعد ثلاثة ايام من استخدامي له .

ووافاه بواسط ابن شيرزاد من البصرة فتلقاه توزون في دجلة وسر بـه وقال يا ابا جعفر كلت امارتي وهذا خاتمي فخذه ودبرني بامرك فانت ابي فقبل ابو جعفر يده .

فانصرف ابن شيرزاد الى دار الصوفي فنزلها وانفـذ ابا الحسين طازاذ الى الحضرة لحلمه وانفذ معه صافيا غلام توزون في خمسين غلاما ليقوي يـده وامره بالقبض على القراريطي ويسلمه الى ابن مقلة ومطالبته بالعشرين الف دينار .

وكان سبب تخلص ابن شيرزاد (١٦٩/٨٧) من البريدي ان يوسف بن وجيه[٢] صاحب عمان وافى البصرة في ذي الحجة في المراكب والشذا.ات وغلب على الابلة فهرب ابن شيرزاد وطازاذ وابو عثمان سعيد بن ابراهيم كاتب بدر الخرشني.

وانصرف يوسف وقد قارب ان يملك البصرة حتى اتى البريدي بفلاح يعرف بالزماري[٣] فقال انا احرق مراكبه وكانت بالليل[٤] يشد بعضها الى بعض كالجسر في عرض دجلة فاعترض الزماري[٣] الى زورقين فملاهما زعفا[٥] واضرمها نارا وارسلها فوقعت على المراكب فاشتعلت وتقطعت واحرق من فيها وانتهب الناس منها مالا عظيما .

وهرب يوسف على وجهه واستشعر ابن مقلة الخوف من ابن شيرزاد واوقع بين المتقي وتوزون وقال قد عزم على ان ياخذ منك خمسماية الف دينار كما اخذ البريدي وقال هذه بقية تركة بجكم[٦] .

١) في الاصل لا يحس لي

٢) في الاصل يوسف بن وحي ، والتصويب عن تجارب الامم ٦/٤٦

٣) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٦/٤٦ ملاح يعرف بالزيادي

٤) في الاصل بانيل

٥) في تجارب الامم ٦/٤٦ سعفا

٦) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

ووافى ابن شيرزاد الحضرة في ثلاثمائة غلام ووصل الى المتقي واشار عليه ابن مقلة والترجمان بالقبض عليه فلم يفعل .

وفي شهر رمضان ورد الخبر بموت نصر بن احمد[1] صاحب خراسان وترتب ابنه نوح في موضعه .

واتصلت الفتن ببغداد فانتقل كثير من تجارها مع الحاج الى مصر والشام.

وورد من ملك الروم كتاب يلتمس فيه منديلا ببيعة الرها وذكر ان عيسى ابن مريم عليه السلام مسح به وجهه وانه حصلت صورة وجهه فيه وانه ان انفذ اليه اطلق الاسارى (١٧٠/٨٨) فاستامر ابن مقلة المتقي فامره باحضار الناس فاستحضر علي بن عيسى والفقها والقضاة[2] فقال بعض من حضر هذا المنديل منذ الدهر الطويل في البيعة ولم يلتمسه ملك من الملوك وفي دفعه غضاضة على المسلمين وهم احق بتنديل عيسى عليه السلام فقال علي بن عيسى خلاص المسلمين من الاسر اوجب فامر المتقي بتسليم المنديل وان يخلص به الاسارى وكتب بذلك عنه .

سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة

ووافى ابو عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان الى باب حرب في جيش كثير فخرج [اليه][3] المتقي لله وحرمه وولده وابن مقلة وابو نصر محمد ابن ينال الترجمان وخرج معه العمال والوجوه وسلامة الطولوني وابو زكريا السوسي وابو محمد المادراني والقراريطي وابو عبدالله الموسوي وغيرهم .

واستتر ابن شيرزاد ونهب اقبال غلامه[4] بعض خزائن المتقي .

وظهر ابن شيرزاد من استتاره .

ووصل سيف الدولة الى تكريت لاربع خلون من شهر ربيع الاول فتلقاه

١) نسبه في الكامل ٦/٢٩٢ فقال : السيد نصر بن احمد بن اسمعيل وله ترجمة في البداية والنهاية ١١/٢٠٦

٢) في الاصل والفقضات

٣) زيادة عن تجارب الامم ٦/٤٨ يقتضيها السياق

٤) في الاصل علامه

الامير ابو منصور وصار معه الى المتقي لله واشار بالاصعاد الى الموصل فامتنع وقال لم توافقوني على هذا .

وانفذ توزون حين بلغه الخبر موسى بن سليمان في الف رجل فنزل بالشماسية .

وعقد توزون واسط على البريدى واصعد فوصل بغداد عاشر ربيع الاول .

فعند ذلك انفذ المتقي حرمه الى الموصل (١٧١/٨٨) وانحدر اليه ناصر الدولة في بني نمير وبني كلاب وبني اسد فتلقاه المتقي وسار توزون اليهم الى قصر الجص[١] ودامت[٢] الحرب فيه بين سيف الدولة وبين توزون ثلاثة ايام فانهزم سيف الدولة حينئذ واصعد معه اخوه ناصر الدولة ونهب اعرابها سوادهما .

وملك توزون تكريت فشغب[٣] عليها اتراكه ولحق بعضهم بناصر الدولة فانحدر حينئذ توزون الى بغداد وانفذ بابن ابي موسى في الصلح بينه وبين ناصر الدولة .

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش للقاء توزون وكان توزون قد زوج[٤] ابنته من ابي عبدالله البريدى .

وسار توزون الى حربى[٥] فالتقيا اول شعبان فانهزم سيف الدولة وسار الى الموصل فعند ذلك خرج اخوه ناصر الدولة والمتقي لله وساير من معهم الى نصيبين وخرج توزون وراءهم الى الموصل ومعه ابن شيرزاد فاستخرج منها ماية الف دينار .

وللنامي[٦] يذكر وقعة سيف الدولة بتوزون :

على رماحك نصر الله قد نزلا	فاسال به يوم تلقاك العدى[٧] الاسلا
ان ضل سعدا على سرآك مطلعه	فقد دعته العدى[٧] المريخ او زحلا

١) في تجارب الامم ٤٨/٦ الى قصر الجص بسر من راى

٢) في الاصل ودمت

٣) في الاصل فشعب

٤) في الاصل روج

٥) كذا في الاصل وفي معجم ما استعجم ٤٣٤/٢ حربة وهو اسم موضع بالشام وفي تجارب الامم ٤٩/٦ الى ناحية اخرى، وعرف ياقوت حربي هذه في معجمه ٢٣٧/٢ طبعة داري صادر وبيروت

٦) في الاصل وللنامي، بدون اعجام ٧) في الاصل العدا

ويفتح الله اسباب السماء الى … نصر يظل به توزون قد خذلا
يا ناصر الدين ان الدين في وزر … وموبل الملك ان الملك قد والا
هاني صنايعك الحسنى ابا حسن … والت لمن قد بناك العثر والزللا

وسار المتقي لله الى الرقة في حرمه وولده ووصلها اول ($\frac{١٧٣}{٧٩}$) يوم من شهر رمضان وانفذ من هناك بابي سعيد[١] السوسي الى توزون وقال قل له قد اوحشتني الظنون السية من البريديين وعرفت انك وهم يد واحدة وقد عفا الله عما سلف فان آثرت[٢] رضاني فصالح ناصر الدولة وارجع الى الحضرة فان الامور تستقيم لك برضاني عنك فقال ابو سعيد[١] يا امير المومنين اني اخافه على نفسي فقال اذا قصدت الصلاح كفيت فقلت له فان لم يتم الصلح اعود الى وطني قال قد اذنت[٣] لك فقبلت يده .

فلما جيت الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي فقلت ايها الامير قد كنت اسفر بينك وبين ابن رايق فهل عرفتني الا مستقيما قال صدقت فقلت انا رجل سني وارى طاعة الخليفة وخرجت معه احتسابا لا اطلب الدنيا وقد انفذني رسولا وانتم اولادي ربيتكم وارى الصلح .

فاشار عليه ابن شيرزاد ذلك .

ووردت الاخبار بجي معز الدولة الى واسط فاحب توزون اتمام الصلح .

وحصل لابن شيرزاد مايتا الف دينار .

وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين كل سنة بثلاثة الاف[٤] الف وستماية الف درهم ودخل توزون بغداد .

وظهر ببغداد لص يعرف بابن حمدى[٥] فكان يعمل للعملات ووافقه ابن شيرزاد بعد ان خلع عليه على خمسة عشر الف دينار فكان يودي الروزات[٦] بها اولا اولا .

(يتبع)

---

١) في تجارب الامم ٩/٦؛ ابا زكرياء السوسي
٢) في الاصل، اثرت
٣) في الاصل ،اذنت
٤) في الاصل ،الاف
٥) فيما بعد هو ابن حمدان
٦) في الكامل ٢٩٩/٦ الروزات وفي تجارب الامم ٥١/٦ وروزات الجهبذ

تفسير الصلاة الربية (تتمة)

للمفريان غريغوريوس شمعون الطوراني

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

فان كنا على هذا النمط نحن فلا ريب في اننا معدومين من البنوة الأبوية. بل ولا اخوة المسيح ايضاً . وبعيدين من الاشتراك الروح القدسي . فتأمل يا انسان في ايّا درجة ضنكة نحن قايمون. حتى ان في زماننا هـذا العدل مرفوعاً بالكلية . وليس هو متحركاً بنوع من الانواع . لكنه الآن ساكناً وهادياً ومترديا برداً. النعمة . وذلك لئلا يترايا للجهلة المؤسين . ونحن الاغبيـا نروم لا نستعمل العدل مع غرمايا . يا هذا اقل مـا يكون تشبه بداود النبي الذي عمل مسرة الرب وصر مثله عديم الحقد والضغينة . ذلك الذي بعد ما مُسح ملكاً من صموئيل النبي . وعدوه شاول كان مرتصداً ان يقتله . وذلك الوديع كان يهرب منه مختفياً في البراري والمغاير . وكم مرَّة يحصل لداود في ان يقتله . مع ان جماعته يقولون له يا داود ها الله اوقع عـدوك بيدك فاقتله واستغنم الفرصة. وما ذاك الا لكون الرب لم يسر لشاول لكونه كان يخالف طريق الرب . اما داود فبالحال يقول حاشاي ان اضع يدي على مسيح الرب. فانظر كيف انه عليه السلام يحسم دا. العداوة بهذه الالفاظ الوجيزة . وان قلت لي ذاك لان داوُد افتحسبني مثله . فاقول لك نعم مثلمـا انت انسان . وهو كذلك ؟ اما كان مساويك بالطبع والارادة والعقل . بل انه كان ملك ذو سلطة واقتدار . من حيث ان في ذلك الزمان كان العدل قايماً وسالاً سيفه ليعطي كل ذي حق حقه بالانتقام. ومع هذا لم يرضي داود ان ينتقم من عدوه بالعدل . وانت حاصل في زمان نعمة المسيح ابن الله تريد ان تنتقم من عدوك بسيف انتقامك وترمي النعمة الى وراك غير مبالٍ بها . لماذا يا اخي تحقد على اخيك . قل لي ما الذي فعل قريبك بك . فان قلت ان اخي صار عدوًا لي يشتمني . الا انه ما ظلمك ولا سلب منك مالك كما فعل شاول بداوُد . وان

قلت ان اختلس كرمي وحقولي واضرني كثيرًا وصيرني فقيرًا مرملًا . اجبتك انه ما بلغ الى أخذ روحك بعد . ولا تقول لي محتجاً في انــه انسان ردي الاخلاق شرير . فلا قدرة لي ان اعمل معه محبة وسلامة لكونه مفسودًا غير متقوّم . فمهما قلته من اجله يا هذا فلن يوازي شرّه شر شاول الذي خلص من داود مرةً واثنتين وعدة دفعات كثيرة . ثم يكمن بعد ذلك لداؤد ويخاتله لكي يفتك به . اما انا فاضرع اليك يا اخي الا تصنع هكذا . بل احسم رباط المداوة من غير كسل وتواني . فانت متى شاهدت عدوك او خالج كره في خاطرك . فلا تقل انه صنع معي كذا وكذا وتضرم نار غضبك عليه . بل تناسَ الجميع وقل الشيطان هو المذنب لا ذاك . ثم انك افطن في كلمة جيدة قالها لك في وقتٍ من الاوقات . فعلى الفور يمكنك ان تنقض سياج العداوة من الوسط من غير اهمال . لان الاهمال يولد الغضب وينميــه . فاذا امضى اليوم وما عقدت فيه رباط المحبة . فيستحوذ عليك الحيا بزيادة . وان بقيت الى الغد . بغير صلح . فيحصل لك الحيا اكثر . وان اقمت الى اليوم الثالث على العداوة . فتبتعد عن الحيا بالكلية فان اردت ان تعلم ايها الاخ بان الاصطلاح بين كل انسان وعدوه ممكن بابلغ الامكان . لكن متى احب . فاجبني يا اخي ايما هو بين الوحوش اشد شراسة ومراساً غير الاسد . ومع ذلك يميله الناس الى الوداعة . حتى انه يصير اشد وداعة من الخروف . ويمشي فيما بين الناس وديعاً بهذا المقدار حتى ان الناس لا تخاف منه ابـدًا . فيا للعجب من كوننا نصير الوحوش الضارية العديمة الأنس ودعـا مستأنسين . ونقول اننا لا نستطيع ان نجعل الانسان الناطق وديعاً. انما نكون بقولنا هذا كاذبين لكن اذا اراد احد ان يصطلح مع عدوه . فيمضي اليه بمحبة بوجه باش . ويخرّ على قدميه ساجدًا له . ويحتضنه مقبلًا له مدمعاً ومتضرعاً اليه في انه يصطلح معه . فانه يستميله من اظهار هذه المحبة والسلامة.وعلى اي حال كان يرضيه ويصلحه ولو ان كان ذلك العدو وحشاً نفورًا . فيا هذا ان فعلت ذلك فتكون قــد اعتقت ذاتك من خطاياك . وعطفت قلبك نحو المحبة السلامية . ربحت نفسك وقريبك . وان لم تفعل هكذا مع عدوك فليكن عندك مؤكدًا انك لم تخلص ابدًا . لكون الجرح بعد حياً في نفسك . وما قد اكملت عهد الله . فكيف

تتجرا في ان تتضرع اليه طالباً منه السماح . وانت بعد ما صرت مسامحاً لذاتك . لكونك لم تسامح الذين صنعوا بك الشر . فكيف الله يصفح عن خطاياك . اعلم يا هذا اننا اذا غفرنا لمن ظلمنا وقذفنا بالشتم والاهانة . فلا تظن الباري تمجد يدع هذا التعدي يذهب هدرًا ضايعاً . بل انه اذا انت غفرت من كل قلبك لقريبك. فتكون مبررًا في نوعين . اولا تبرّر في محي خطاياك. ثانياً تتبرَّر لكون انك تركت انتقامك لمن قال لي الانتقام وانا المجازي يقول الرب. وبهذا تستفيد فضيلة التواضع . وان لم تصدّق بهذا اسمع ما اقوله لك . انه في وقت ما عيّرت مريم اخاها موسى ووبّخته . لكونه اتخذ له امرأة من بنات يعطور الكاهن الذي كان متذانق وثناً وماذا صنع الله بها . فانه ضربها بالبرص وصيّرها غير طاهرة . وذلك من قبل تعييرها لأخيها . واما الطوبان موسى فضرع الى الله لينقها من الوسخ الذي المّ بها . والباري تعالى لما استجاب طلبته . بل قال له انا اقتبل منك توسلك بان لا اعاقبها في الحيوة العليا . و اما هنا فتبقى خارج المحلة معاقبة . فتفطن يا هذا في يوم مداينة الله المرهبة . واعلم ان الجميع في ذاك اليوم يمثل عراه باديين اعناقهم . ولا يستتر عنه تعالى امرًا مختفياً . فكيف يكون حال من لا يغفر خطايا قريبه. فما ينبغي لك يا اخي ان تترك سئات اخيك هنا تضمحل كافة جرايرك المزمعة الظهور هناك . وفي يوم الدينونة تستوضح معتوقاً . وتعوّض باكثر مما تركت. فان كنا يا اخي لمأمورين بان نحب اعدانا . ترى لو بغضنا من يحبنا فاي مسامحة تكون لنا . لا لعمري . لان الذي لا يودّ اخاه ويتفداه . لو انفق كل ماله على المساكين . حتى لو قُدِّم للاستشهاد فلا يكون قدامكم شيئاً. فمن يحارب من لم يظلمه ترى كم من عقاب مؤبد يستحقه في هذا الجحيم . يا ليتها لم تكن هذه العداوة بيننا . حتى لم يكن الشيطان يفرح بها . يا ليتكم كنتم تعلمون الفرح والابتهاج الذي يحصل للملئكة النورانيين متى سالم بعضنا بعض وصالحه . لا سيما عندما يجدون الخاطي قد نكص تايباً عن اثمه . فاذا كان اليونانيون الذين لم يكن لهم انتظار شي. ما صالح بعد مماتهم . وهم في اكثر حالاتهم يعتنون في ان يقتنوا عدم الحقد على احد . وانت ايها المسمّى بالمسيحي الذي ترجو ان ترث ملكوت السماء ارثاً مؤبدًا. تتفخم على ان تختلق

لك عداوة مع احد . المسيح ابن الله لاجلك صار ذبيحة على خشبة الصليب كونك كنت عدوًّا لله وصنعت ارادة المحال لا ارادته . والآن اذا ما تبت هو يقبلك بفرح في مظاله الابدية . فاذا كانت اللصوص الخونة متى اكلوا بعض اصدقايهم وتادموهم على مائدة واحدة. فتلك المايدة الاتفاقية تصيرهم ان ينتكبوا عن طريقهم الشنة مع احبايهم . وينقلبوا بخلق بسيط وديع اودع من الخروف . بعد ان كانوا اشد حرومة من الوحوش الكواسر ونحن الذين نشارك مايدة هذا عظم مقدارها . ونتناول جميعاً طعاماً من غير مضمحل ولا بال باتحاد واحد . نخاصم بعضنا بعض ونصيّر الشيطان عدونا محارباً قويًّا علينا. ونجعل ذواتنا ضعيفة قليلة القوى . فماذا يكون اشرّ من هذا واكثر بعدًا عن الشريعة الالهية. باتحادنا الشيطان اخزاه الله مساعدًا لنا ومحارباً ردياً في مضادة بعضنا بعض كل يوم . ونتفق معه على المخاصمة فيما بيننا . ما بالنا نشاهد ابن الله حامل آلاماته واقنومه مصبوغاً بالدما وهو جالس من عن يمين الآب يتضرع لاجلنا ليغفر لنا ذلّاتنا . ونحن الاشقيا نروم الانتقام من بعضنا بعض بالعدل. من حيث ان هذا الزمان هو زمان النعمة ليس زمان العدل . لأن مجيء سيدنا زمان القصاص بالعدل قد مضى وزال . واعطانا تمجد بمجيه زمان النعمة . لقوله تعالى لا تقاوموا الشر . بل من ضربك على خدك الأيمن حوّل له الآخر. ومن سخرك ميلًا واحدًا امض معه اثنين . ومن طلب ثوبك فلا تمنعه رداك. فكما ان في زمان الشتا لا يكون حصادًا ولا بيادرًا ولا التبن من الحنطة . هكذا وفي زمان النعمة لا يكون مجازاة ولا فعل ما من افعال العدل. لكون زماننا هذا النعمة قايمة منتصبة . وسيف العدل موضوعاً في غمده . فعوض ما نشكر نعمة سيدنا يسوع المسيح حيث انه اخفى سيف عدله بآلام صلبه . فما بالنا نحن نستله . فالعدل الآن هو مختفي عنا لئلا نراه . فعلامنا نسعى الى ملاقاته. فعلى تشجيعات النعمة لم نصبر. فامام العدل نحن الضعفا كيف نستطيع ان نقف . فمن محبة واعتناق النعمة نظفر هاربين . ففي حنقية وغضب العدل كيف نثبت . تلك التي مراحمها اي مراحم النعمة مخزونة بقضيتها كما كتب. فالحقيرات التي تطلبها منّا النعمة ان كنا لا ننادي . فكيف نحن نقدر ان نادي الجليلات التي يطلبها العدل منّا . فان كان الهينات السهلات التي للنعمة

تصعب علينا . فصعوبات العدل كيف نستهونها . احتضان النعمة نحن لم نقبل. فلالآم الجلد ولعذاب المرّ لنجيب البكا ولصرير الاسنان العدل كيف نحتمل. على الامور الحقيرة الزمنية السهل افتعالها لم نتقدم . فعلى الامور الثقيلة الباهظة الابدية كيف نتقدم . فما بالنا لا نفر من ذكر استعمال العدل الذي ليس هو زمانه . ونسعى بقدر مقدرتنا متسارعين باجتهاد كليّ طالما زماننا هذا هو زمان النعمة ونغفر لغرمائنا من كل قلبنا ما لنا عليهم يرضي الرب الاله علينا ويغفر خطايانا . ونطلب من ابينا السماوي ونحن متضرعين اليه بتخشع قايلين .

ولا تدخلنا في التجارب .. فانظر يا اخي الى محبة سيدنا لنا وعظم تحننه علينا . فانه تجد يعلمنا ان نطلب من ابيه تعالى في صلاتنا ألّا يدخلنا في التجاريب . لعلمه تعالى بصعوبتها . وقليلون الذين يخرجون منها سالمين. الكونها غير محتملة . فيجب علينا ان نكون دائمًا مستعدين طالبين من ابينا هذه الطلبة نفسها . كقوله تعالى صلّوا ولا تملّوا . من انه لا يدخلكم في التجاريب. اي ألّا نكون متكاسلين متوانين في الزمن الذي ليس فيه تجربة . بل نكون متأهبين مستعدين من قبل وفودها الينا . حتى اذا ما داهمتنا نكون مهيأين لقبولها بسهولة لكي نخرج منها سالمين من غير اشعار بها . فعاد الواجب علينا في الزمن الحالي من التجاريب ان نصلي دائمًا . ونطلب ونتضرّع وبخشوع الّا يدخلنا فيها. كمثل أناس لا قدرة لهم على احتمال ادنى تجربة . خايفين وجلين من وفودها عليهم . لان من عادة الخطاة لا يتاهلون ويتراخون في الاسباب المسبب عنها التجارب . بل انهم يشدون عزمهم بشجاعة ويسهرون مستعدين استعداد كليّ . لكيلا تعرض لهم التجربة بغتة وهم متغافلون . فيحصل لهم الضجر العظيم . وبجهد جهيد يسلمون منها .

اعلم .. ان التجارب تنقسم ثلاثة اقسام .

فالقسم الاوّل تصدر من جهة الناس الظلمة والسادات السايبين الغير الراحومين وهذه تأتينا تأديباً لنا من اجل خطايانا .

والقسم الثاني تصدر لنا من قبَل شهواتنا كقول الرسول ان ابتلى احدًا فلا يقُل ان الله ابلاني بل انما يبتلي الانسان من قبل شهوته. والكتاب المقدس يقول شهوة اشتهوا في البريّة وجرّبوا الله في اشيمون . وحيث كان الطعام في

افواههم صمد غضب الله عليهم . واما القسم الثالث : تصدر علينا التجربة من قبل الله تعالى فيسمح بها لفحص واختيار البعض من الناس الاتقيا. مثل ايوب الصديق ونظايره من الابرار كالمقول تدخلون في تجاريب كثيرة مختلفة لانكم تعرفون بامتحان الامانة تقتنون احتمالاً لتكونوا كاملين سالمين بغير عيب . وفي هذه الثلاثة اقسام تجرَّب سيدنا يسوع المسيح نفسه وبكل من هذه التجارب الثلاثة تجرب ثلاثة اسرار وذلك لينهج لنا الطريق وليهيه لنا ويعلمنا لكي اذا ورد علينا تجربة مُنهم كيف نتدبر وننجوا من صعوبة التجاريب . فأولَ تجربة من التجاريب الاولى فلما رأى ان هيرودوس الظالم قد رام ان يهلكه . فهرب الى ارض مصر لانه تعالى كان عالماً بصنيع هيرودوس انه مزمع ان يقتل الاطفال. نشاء ان يهرب لكي يعلمنا اذا ما صدر علينا هكذا تجربة . نترك كل شيء بثقلنا وننجو بانفسنا فقط . وان ما قدرنا ننجوا بانفسنا بعد الجهد الكلي . نترك ايضاً ذواتنا لتنجي انفسنا التي هي السيدة الشريفة بقوة اماننا . كقوله تعالى لا تخافوا ممن يقتل الجسد . لانه لا يقدر ان يقتل النفس . فانا اقول لكم ممن تخافوا . خافوا ممن له سلطان ان يهلك النفس والجسد معاً في جهنم . والمرَّة الثانية من التجربة الاولى . لما رأى تمجُّد ان محفل اليهود يروم رجمه . اجتاز بينهم واختفى . واماَّ المرة الثالثة من التجربة الاولى . لما رأى سبحانه ان السامريين راموا ليطرحوه من على جبل المبنية عليه مدينتهم . فعبر من بينهم متوارياً . لكونهم قصدوا ان يقتلوه خفيةً . وان كان زمان قتله قد ازف . ولكن سبحانه تعالى . ما شاء ذلك . ان يكون خفيةً . بل انه رام ان قتله يكون ظاهراً . وليكن على راس خشبة الصليب معلقاً . ليتراءى لجميع المخلوقات. ولان كان بهذا الصنيع اروى ضعفاً . لان الضعف الذي يصدر عنه فايدة . فليس هذا ضعفاً . بل قوة وقدرة وانتصار عظيم . وامَّا التجربة الثانية المتضمنة ثلاثة تجارب . هي التي انساق الى البرية من قبل الروح القدس . وهناك صام اربعين يوماً واربعين ليلة . فيتحارب مع الشيطان ثلاثة مرات بثلاثة تجاريب الشهوات . فلما دنا اليه المجرِّب ليجرِّبه . فتحارب معه سيدنا وغلبه بالثلاث التجارب . فامَّا التجربة الثالثة فهي الترك والاهمال الذي صدر له من ابيه الآب . لان الآب جلَّ وعلا اراد ان يكتئب ابنه . فلما قربت التجربة اليه

والامر المجزوم عليه فالابن تمجّد لم يأب منعها . بل انه جثى على الارض على وجهه ثلاث مرار وتضرع بتنهد عظيم وبدي يكتئب ويعبس وصار في خوف عظيم . وكان يصلي بتوجع هذا حد مقداره حتى صار عرقه كغبيط الدم . وسأل ابيه في ان يعبر كأس الموت عنه ان كان ذلك ممكناً . لان لم يكن ذلك ممكناً اختيارك يا ابتاه يكون فسيدنا قال هذا ثلاث مرار . فالحذر الحذر يا هذا من ان تتوهم من مثل هذه الاقوال الدنيَّة التي صدرت من الابن الوحيد العالي . بان للمسيح سيدنا فعلين وارادتين وان تحقق هذا الوهم عندك. لعمري ليس على وجه الارض اغبي منك لاستماعك قوله تعالى على المدي . ليس اختياري يكون بل ارادتك يا ابتاه تكون. اعلم ان لفظة لا تشير للنفي على موجب اصطلاح اهل اللغة العربية . على ان لفظة لا نافية . فاذا كان ذلك كذلك . صار معلوماً ان مولانا تمجّد قد نفي ارادته وفعله بالكلية الذي انت تقول ان لناسوته ارادة وفعل ما عدا ارادة وفعل اللاهوت . فان كان على رأيك لناسوته ارادة وفعل فها هو تعالى نفاهم عنه بالكلية . وما عاد يتدبر الّا بارادة ابيه لان حيث انتفت الارادة انتفى معها الفعل ايضاً . لكون الفاعل واحد هو . وان[من] كيف ذلك والرسول الالهي يقول انه اخذكل ما لنا ما عدا الخُطية. ونحن اي ناسوتنا له ارادة . فيكون المسيح له ارادة ناسوتية . فنقول صحيح ما قاله الرسول . ولا اشكال ان للمسيح ارادة ناسوتية . ولكن حيث وجود الاتحاد الذي صدر في جميع الانحا . من كل الوجوه الذي قد اعدم التثنية في المسيح في جميع الانحا . صار المسيح واحداً من كل الوجوه بطبيعة واحدة واقنوم واحد وفعل واحد وارادة واحدة . كالحديد المحمي بالنار . هل تقدر تفصل لي الحديد من النار . او تميز النار وفعلها وحده . وتفصل الحديد وفعله وحده . فمن المعلوم هذا غير ممكن. فان كان الحديد المحمي بالنار لن نقدر على انفصالهم وتميز بعضهم من بعض. فكيف تقدر ان تميز طبايع المسيح وتقول له طبيعتين وارادتين وفعلين. فما هذه الغباوة باهرة . أما علمت ان النار المتحدة بالمادة . انفت عن مادتها ما كان لها من طبايع وارادة وافعال . وصار فعل هذه المادة من كل الوجوه والانحا للنار مخصوصاً . لان الشي. لا يوصف الّا باشرف ما فيه . وانا اقول لك ان سيدنا يسوع المسيح هو من لاهوت وناسوت . ابن واحد . وذلك بفعل

الاتحاد الذي لا تثنية فيه ولا انفصال الى ابد الابدين ودهر الداهرين . فمن هنا يثبت ان ارادة وفعل الابن الوحيد سيدنا يسوع المسيح هي ارادة وفعل ابيه وروح قدسه . وان تشككت في ذلك ونسبت الافعال الدنية الذي فعلها المسيح لناسوته خاصةً دون لاهوته . فاعلم انك بهذا تفصل ابن الله الطبيعي من ابيه . وتجعل الاتحاد لا اتحاداً . بل مقارنة . فاسمع توبيخه تعالى لكل من يفصله من ابيه . حيث يزجر لفيلبس رسوله حين قال له أرنا الآب وحسبنا. لكون الرسول الرفيع محله سمعه يقول نزلت من السما لا لاعمل ارادتي بل ارادة الذي ارسلني . وايضاً يقول من يعمل ارادة ابي . وايضاً يقول الابن لا يعمل شيئاً من تلقاء نفسه بل ما يرى الآب عامله . وايضاً يقول ابي حتى الآن يعمل وانا ايضاً اعمل . وايضاً يقول الآب يحب الابن ويريه جميع ما يعمل . ونظاير هذا يقول . فكان الرسول ما كان يفهم ما يقوله المسيح . او كانه يروم ان يحقق قول المسيح . فقال له يا سيدنا ارنا الآب وحسبنا . اي كانه يقول له الى متى تقول لنا عن الآب فارنا الآب ويكفينا . فاجابه السيد بزجر قايلاً له يا فيلبا لك معي هل قدر زمان ولم ترى الآب . أما تعلم ان الآب هو فيَّ وانا في الآب . ومن رآني فقد رأى الآب . وان كنت لم تقنع بهذا فاسمعه ماذا يقول ايضاً . ان الكلام الذي اتكلم به ليس هو من عندي . بل ابي الحال فيَّ هو يفعل هذه الافعال . واسمعه ماذا يقول للشرط الذين اتوا ليمسكوه . فخرج يسوع وقال لهم لمن تطلبون . فاجابوه يسوع الناصري . فقال لهم يسوع انا هو . فلما قال لهم هذا رجعوا الى ورايهم وسقطوا على الارض . فهات اعلمني يا هذا من هو الذي قال للشرط هكذا . فمن المعلوم تقول لي المسيح . فنقول لك ان كان على ما تزعم ان لناسوت المسيح فعل مختص به ما عدا فعل اللاهوت . فلماذا لم يخف من حيث الناسوت يخاف ويفزع . ها هو تعالى يقول عن نفسه ابي الحال هو يفعل هذه الافعال . فمن هنا صار معلوماً ان جميع ما فعله المسيح بارادته الواحدة الذي لابيه وروح قدسه . وابطل قول من يقول ان الناسوت له ارادة وفعل ما عدا ارادة اللاهوت . فلنعد الآن الى صلوة سيدنا تمجد الذي صلاها . وطلبته ثلاث مرات ولننظر ما الذي تقول . هل سمع ابيه منه هذه الطلبة ام لا . فنقول كيف يسمع منه او كيف يقول الابن هكذا.

لان الآب جلّ وعلا اختار ان يصير ابنه ذبيحة عوض البشر خليقته . والابن رضي ان يصير قرباناً لابيه الصالح . واما من حيث الافعال الدنية الذي فعلها الابن . فهو يعلا ويجلّ عنها . لكنه فعلها لاجل كمال التدبير الذي صنعه. اراد بذلك اولاً تعليمنا . وثانياً قاصداً بذلك استهذاء على الشيطان ليخفي ذاته تعالى عن عدوه الحية العتيقة ليغري امة اليهود على صلبه . وجميع هذه الافعال كانت منه لاجل خلاصنا من عبودية الشيطان عدونا . فمن بعد ما اكمل جميع تدبيره . سلم ذاته باختياره الى اليهود . فسكوه لئلا يهرب كعادتـه . فالآب فحصه بتجربة الموت . كمن يروم ان يرى غلبة ابنه . لانه بتجربته الاولى اروى ضعف طبعنا . لكونه لبس ضعفنا واراد ان يدرجه شيئاً فشيئاً حتى يتقوّى ليستطيع ان يحمل تجارب الكبار . فاولاً هرب من حيث انه ما كان قبل روح القدس بعد ظاهراً . ولا ايضاً كان صوت الآب سمع بعد . فبهذا اورانا ان لم نقبـل الروح القدس اولاً . لا نقدر احتمال التجارب . لان سيدنا بعد ما قبـل الروح القدس . انساق منه الى احتمال التجاريب التي كابدها في البرّية ونال الغلبة . ومن ثمّ صبر على تجربة الموت الضنكه . لان موته كان بالصليب المرّ . كما قيل انه تألم وابتلى ليعين الذين يبتلون . اذ يجرد ويدرج الطبيعة التي لبسها . لنتعلم نحن ايضاً تدريج الاستماع لابيه . كمثل حتى الموت . ولهذا كان سيدنا يعصينا في تعليمه كنا ان نضرع الّا يدخلنا مثل هذه التجربة . لان هـذه التجربة وامثالها التي لم تأت علينا ما هي الّا من قبل خطايانا . كون اننا دائماً نغضبه تعالى بافعالنا الرديّة التي تصدر منّا امامه . زعم لا تدخلنـا التجارب اعني لا تدخلنا للتأديب سرعة . بل امهل علينا بمـا انك طويل الاناة تتراضينا . فهي بوساطة هذه الاستغاثة يرضي علينا ويرثي لنا . كالمديون الذي استغـاث من ديانه ليمهل عليه . فترك له كل دينه . لان التجاريب التي تأتي علينا هي على قدر الجرم الذي نجترمه . لا سيّما اذا عرف الانسان جرائمه . وانه باستحقاق اتت عليه التجارب . فتصعب عليه جداً . واذا ما صبت عليه فيضطرب منها . واذا ما كان مهيا . لوفودها فيظلم عقله ويقسي قلبه . ويعتاض معبساً . ويتحسر متكسراً . فيقطع رجاؤه من الله تعالى . ويظن انه اذا دعاه لم يستجبه . فمن ثمّ يستحوذ عليه عدو الخير . ويظلم ذهنه ولبه كي لا يأتي ذكر الله في فكره .

فهذا دأب الذين ينسوا الله ولا يهيوا ذواتهم في وقت راحتهم فيجيب علينا اننا نكون دائمًا فارّين من اللعين اخزاه الله في وقت راحتنا . اي اننا نسأل من الآب ليطيل اناته علينا لنهرب متخلصين سالمين منه . فاذا كان الابن تعالى من حب سلطاته وقدرته فرَّ في التجارب غالبًا وفايزًا على قوة العدو المجرِّب . وفعله هذا كان لا لاحتاج . بل اراد بعقله هذا تعليمًا لنا . حتى اذا ما جاءت علينا التجارب نهرب منها . اي ان نكون مهيأين لقبولها . بالصلوات والطلبات المتواترة . ونحن ثابتين غير متزعزعين . حتى اذا ما عرضت علينا اخرى . نغلبها بقوة الروح القدس الكاينة فينا . وهكذا بالتدريج نبقا مجرَّدين على بقية التجارب التي تفد علينا . كالفارس الشجيع الخبير بالفروسية . فشجاعته لا تظهر الا بصولاته في المعارك . ويخرج من حومة الميدان سالمًا تبا انه مختبر الطعن والضرب . فلهذا يتجرد على المعارك . حتى اذا ما تبين له معركة اخرى . باشرها بنفسه لثباته في الجهاد . ولان كان الجهاد بهذا المقدار صعبًا . فلحكمته في الطعان والضروب يحتمله بسهولة فهكذا الذين هم مواظبين على افعال البر . اذا ما صادفهم تجربة ما يقتبلونها ببشاشة وطلاقة . من حيث استنارت عقولهم وصفاوت نياتهم . وهم عارفين ان هذه التجاريب ما عرضت لهم الا لاختبارهم وفحصهم . فمن هذا لا يصعب عليهم شيء اصلًا . فهكذا كانوا الشهدا والقديسين مع بقية الصديقين الذين كانوا يحتملون التجاريب التي تعرض لهم . بانواع متعددة . ويتلاقونها بجلادة وبسالة . ويقبلونها باشتياق وفرح كما تلاقي الارض الظمأنة اوايل المطر . وذلك لعلمهم بالجزاء الصالح الذين سينالوه . بخلاف ما نحن مقيمين . لاننا اذا كنا مقيمين على افتعال الخطايا فنحقر من نيتنا وضميرنا يوبخنا . فاذا ما اهملنا ضميرنا فزيادة نتوانا . فتأتي علينا التجارب بعكس ما تأتي على اولئك الفطاحل . لكون اولئك كانوا مستعدين لها ومهيأين لقبولها . ونحن من قبل تراضينا نضجر منها ونخال انها اصعب من التأديب البراني . وهي كذلك لكسلنا وتهاونا . فلهذا لا نُعد نصلي ولا نتضرع ولا نطلب ازالتها . ومن قبل هذا التراخي والكسل نرى التجربة ممتزجة بالموت . ولكن اذا ما نبهنا قريحتنا والتجينا الى حصن الصلوة وابتعدنا من افتعال الرذايل . وادمنا الطلبة وتواثبنا على الخشوع والتضرع . لكي اذا

ما وقع احدنا في تجربة ما وهو كان بهذا الاستعداد مهيئاً . فيمكن له الخروج منها سالماً ناجياً . فلهذا ينبغي لنا ان نصرخ دائماً مع داود النبي قايلين . يارب لا بغضبك توبخني ولا برجزك تؤدبني . فان سهامك قد انغرست فيَّ . ومكنت على يدك . اناشدكم الله يا اخوتي ان تعدلوا عن افتعال الخطايا والمآثم المسبب عنها التجاريب . آه يا احباي لو تعلموا ما الذي هو ضمن التجاريب التي تصدر علينا من جرى اثامنا لابتعدتم عن افتعالها كابتعادكم من الحية . لكون كل افعال عدونا الشرير ساكنة في انواع التجاريب . لان الحبل الذي شنق به نفسه الدافع يهوذا هو هذه التجاريب . لكونه ما اهمل الدموع وطلب الغفران بخشوع وتضرع كالصفا . الذي بعد ما كفر بخالقه وجحد سيده نجبي . هذا هو الفاس الموضوع على اصول الشجر الذي انكحوا به آدم وحوي من بين اشجار الفردوس . مع ان الباري تعالى تمجد . اطال اناته عليهم بسؤاله لهم وتكلمه معهم اعطاهم فسحة ليطلبوا الخلاص والغفران بغير مشقة ولا عنا ما داموا في راحتهم بعد . ولكن بما انهم توانوا وتعللوا فاهملوا طلب العفو والغفران في وقت الراحة انزجوا في تجربة الخروج من مكان راحتهم الذي هو الفردوس . فانظر في ما كان حصلوا . ولا سيما أمر جسيم وصلوا . حتى ان الآب الازلي تحنن عليهم ورثي الى دلهم ومسكنتهم وارسل اليهم ابنه الوحيد رتجسد وصار انساناً . وفداهم باهراق جملة دمه على عود الصليب رخلصهم من جملة نسلهم . فلهذا لا تفتر من الصلوة وتواتر الطلبة من ابينا السماوي الّا يدخلنا للتجاريب. كما علمنا مخلصنا لكونه تعالى عالماً بافعال الشيطان جميعها مكمونة في التجاريب. واللعين خزاه الله ايضاً على ابواب الخطية كالاسد الزائر للكسر والافتراس . ظناً لان يشرب دمنا . فلهذا اعلمنا سيدنا بعد طلبتنا ان لا تدخلنا التجاريب نطلب من ابينا السماوي لينجينا من الشرير قايلين . لكن نجنا من الشرير . . اعلم ان سيدنا له المجد عالم بجميع فكر الشيطان وحيله . وهو دائماً خزاه الله ملازماً لنا ومرافقنا . كملازمة الظل المرافق جسمنا . وهكذا اللعين لا يهدى ولا يمل ولا يتوانا . من انه يصلي لنا فخاخاً . وينصب لنا اشراكاً . ويهيئ لنا سهاماً . ويحفر لنا حفرةً ويلقي عثراةً . ويبدر لنا حقداً . ويزرع لنا بغضةً. وينشي لنا عداوةً . وينمي فينا حروباً . ويثير فينا قتالاً . ويهيج فينا شهواتاً.

ويحزن قلوبنا . وينجس نياتنا . ويظلم ضمايرنا . ويسقينا مرارة . ويسلط علينا رخاوةً . ويطرح علينا كسلًا . ويعلم ضلالةً . ويقطع رجاء . ويوصل هلاكًا . ونظاير ما ذكرنا كلها افعال عدو ضيرنا وقواته والاردئيا . فلعلم سيدنا تمجد بضعفنا وقوة الشرير المارد : علمنا ان نقول نجنا من الشرير . كانه تعالى يقول لنا يا انكم اناس بشريين ضعفا . وعدو خيركم ذو قوة وسلطة عظيمة هذا مقدار عظمتها . حتى ان امكنه يضل المختارين . لكنكم اذا استعنتم عليه بقوة ابي السماوي بطلبتكم الدائمة ان ينجيكم من الشرير . فمن التجاكم اليه فينقذكم منه . لا محالة فان كان لنا هكذا عدو ردي لا يهدي ليلًا ولا يركن نهارًا . وان كنا نحن ملقاين مطروحين وفيما بين الاشواك جايلين . وفي اي ناحية ملنا تشيكنا اشواك العليق التي لاعدايننا . وتحت سلطان القوات القضاية وطابطي هذا العالم المظلم نحن محبوسين . ويلعبوا فينا الثعالب الصغار كالكورة . ومن جانب الى جانب يدفعونا ليهدمونا ويحزنونا ويهزأوا بنا . فما بالنا لا نضرع الى ابينا ونطلب منه لينجينا من الشرير وقواته . وينقذنا من الفرعون العقلي الذي يروم ان يكدنا تحت استعباد المصريين . واذا توانينا وما طلبنا اسعاف ابونا نمت بموت استعباد مصر المحسوسة ابدياً . ونكدن في نير تلك المعروفة . اي نتعذب في جهنم النار بلا نهاية ما دام الله الهًا . آه يا ويلي ثم الويل لي انا الشقي الكسلان . ليت شعري من ذا الذي يخلصنا من غضبية الآب المزمع ان تفعل بنا . ليت كنت في العدم ولا كان لحقني فعله المزمع بالظهور من جري كسلي . فبمن اتضرع . وبمن استغيث وبلجي من التجى ليأتي لمساعدتنا وانقاذنا من الشرير الغاش . الا لابينا السماوي فقط . انظروا بني اسرائيل حينا كان نفد عليهم للشدايد والمضايق يصرخون الى الله ويستغيثون به . فيقول الله تمجد ان صراخ اسرائيل صعد امامي . فتذكرت عهدي الذي عاهدته لابراهيم واسحق ويعقوب . فيتبين لنا من قوله هنا انه يريدنا دائمًا ان ندعوه بصراخ ونحيب ليأتي لعوننا . وان لم نصرخ اليه بتواتر . لم يتذكر وعده لنا . فهكذا يجب لنا ان نداوم الصراخ لابينا ليعيننا وينجينا من العدو والمارد. ونكون كالولد اليتيم من امه . اذا ما تضايق من ادنى ضيق . فحالًا يصرخ لابيه ان يخلصه من المضايقين له . اما هم حين يسمعوا صراخ لابيه . فيتركوه

فارّين هاربين من امامه . فهكذا نحن ايضاً ما دام لنا زمان يسمع فيه ابونا صراخنا . فلنصرخن اليه قايلين يا ابانا نجنا من الشرير الذي يروم هلاكنا . فاذا ما ادمنا هذا الصراخ الشديد الى ابينا . فبالحال حين يسمع ندانا . فاللعين يفر من امامنا هارباً من حيث علمه بقوة ابينا وسطوته . ولا يستطيع الثبوت امامه . ونحن لولا مساعدة ابينا تعيننا . فما كان لنا قدرة ان ننجو من اشراك عدونا المحال ولكن ما دام صراخنا متصل منا الى الآب السماوي تشتد قوتنا ونقدر على محاربة عدونا ونغلبه . ولا يعود يستحوذ علينا الضعف . مثلما ان موسى حيث كانت الاعدا تحارب بني اسرائيل . كان يصلي الى الله بصراخ شديد وهو رافعاً يديه نحو السما . كان الشعب يغلب اعداه وحينا كانت ترتخي يدي موسي . فيغلب الشعب من اعدايه وهكذا نحن متى ما تراخينا في الصلوة وتوانينا عن صراخنا الى ابينا فاعدانا يغلبونا ويقووا علينا ويفعلوا بنا ارادتهم . ويجري بنا ما جرى لشمشون الجبار الذي لما تراخى غلبوه الاعدا . وفعلوا به ما ارادوا . فنسأل الله الّا نكون كذلك . زعم نجنا من الشرير . لكوننا نحن ليس لنا استطاعة على قوة عدونا . فاذاً يجب علينا ان نزوي جبانتنا لابينا السماوي . ونصرخ اليه قايلين يا ابينا الصالح والهنا القوي . بك نلتجي وبقوتك نستعين وبعنايتك نتقوّى لاننا لا قدرة لنا على شي البتة . فان لم تكن معنا قوتك فحقاً لم ننج من اعدائنا . فيا انّنا رمينا حملتّنا عليك . واتكالنا القيناه عليك . بل نستبشر انفسنا . وباسم ابويتك نلتجي . وباسم قوتك نقتني قوة عظيمة على قوة عدونا . وفي كل وقت وحين ندعوك يا ابانا السماوي مراحمك تسبقنا . قوتك تصل الينا تجرد عنا جميع افعال المحال المحيطة بنا . لتقطع اشراكه . وتكسر افخاخه . ليلبس الخزي والخجل . ونحن باسمك العزيز ننتصر عليه . ونتسلح امامه . وبقوتك نقوم تجاه قوته . فمتى ما استقمنا على هذه الطلبة والصراخ الى ابينا العالي . فيأتي ابينا لمساعدتنا سالاً سيفه وجاذباً اليه . كداود حين رمى جلياد مجندلاً على الثرى . فنقوى عليه ونغلبه . ونتنصر عليه قايلين هولاء بالمراكب وهولاء بالخيل . ونحن باسم الرب الهنا ندعوا . هم عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا . فجعلنا يا ابانا من فم الاسد لنبشر باسمك اخوتنا . ولو اننا يا سيدنا سلكنا في وادي ظلال الموت . لكنّا

من اجل اسمك لا نخاف الشر لانك انت معنا . وبك تفرح قلوبنا . وعلى اسمك القدوس اتكلنا . وبك نناطح اعدائنا . وباسمك القدوس ندوس مبغضينا . لاننا ليس على قسينا متكلين . ولا سلامنا خلصنا . يا الهنا اعداونا احتوطونا . وكالزنابير اكتنفونا . وبقوّة دراعك خمدوا كنار القش . وباسمك هلكناهم . يا ربنا والهنا نسألك الّا يغلبنا الشرير . ولا من بين يديك يأخذنا . وقوتك القادرة على الكل لا تتغيَّر منه . وخاصة لا نقوم مقابل خاصتك بل خلصنا من الشرير . وحين يحطاتوا بنا من كل جانب ندعو باسمك . وقوتك المظية تعرقلهم ليعثروا في بعضهم البعض . ويسقطون فلا يستطيعون القيام . فحينئذٍ نبصر ضعف طبعنا . ونتأمل في غلبة قوّة اسمك بنا . ونزبح لك الشكر قايلين لا لنا يا رب . بل لاسمك اعطى المجد والوقار . ففي هذه الغلبة نندهش وبقوّة عظمة اسمك نتعجب . وبغير فتور نشكرك قايلين .

لان لك الملك . . لاننا نحن لا كأناس متكلين على قوتهم وبرّهم . بل على قوتك يا ملكنا والهنا الضابطة الكل . لان الملك هو لك اي المعرفة تلك التي علمنا ابنك الحبيب ان نطلبها منك . فهي تأتي لمساعدتنا فهذا هو ايماننا اننا متى ما دعوناك تأتي لاسعافنا . ونعرف انك انت هو الرب الذي اغثتنا وعزيتنا . وانت الذي منحتنا المعرفة تلك التي قبلناها من الروح القدس . والسلطة التي تسلطنا بها على الشرير وقوته منذ اعتمدنا بك . فاذا لك الملك والضبط . اي المعرفة كما قيل مني كانت المعرفة والعجب . ونحن بسلطان هذه المعرفة استضينا . وبها تفرسنا على مكر وخبث عدونا . وبها تحكمنا ونجينا من المعروف اللعين بالوداعة . كما قيل كونوا حكما كالحيات وودعا كالحمام . فكمثل ما عدونا ياتي الينا بالمكر والخبث . نأتي اليه بالوداعة والحكمة . ونتسلح بسلاح الروح . ونتدرع بالبرارة . ونتقلّد بسيف المعرفة الروحانية . ونخرج اليه وسيفنا مسلولًا بيدنا . الذي هو قوة اسم الآب يلمع مقابله . كما كتب باسم الرب دعوت . دعوننا باسم الرب الهنا . قايلين لك يا الهنا الملك والولاية والغلبة والضبط . وبه نحن في جميع الاعمال الحسنة المرضية لك ثابتين ومتحركين . وباسمك القدوس نطي على كل القوات المردة . ونطرد من امامنا الشيطان مع جميع جنوده كما قيل بك اسعى على الجيش . ويا الهي اعبر الصور .

قايلين مبارك الرب الذي علّم يدي القتال واصابعي في الحرب . نشكرك يا الهنا على ما انعمت علينا بتعليمك لنا كيف نحارب عدونا . لانهُ لو ما تعليمك لنا صنعة القتال والمحاربة مع عدو خيرنا . لما كنا قدرنا على الخلاص منه . فهكذا يجب علينا ان نتحارب مع الشيطان بايادينا واصابعنا اي بافكارنا وافعالنا نقاتل اعدائنا بغير هدو وسكون ولا نجعل لعدونا بنا موضعاً يرتاح فينا . فنطرده بصوت صراخنا كالرعيد ليصعد الى اعلى العلا . ريلقي ضجة عظيمة لطغمات الملئكة والقوات الروحانية . ويتصل الى ابينا السماوي . ويحصل من صراخنا ارتجافاً للملائكة . حيث يعاينون عرش الآب قد تحرك من صدا صراخنا يا ابونا مع ابنه وروح قدسه . فيركب مع المراكب فوراً وامون صراخنا كالبرق اللامع يهبط . فحين يروا الروحانيين هذا القلق والضجيج يندهشون . ومن حدية طيرانهم السريع يضطربون . فيحاولون ان يسبقوا الملك محثين بعضهم ليصلوا ويخلصوا الصارخين . وينتقموا من اعدايهم قبل ان يصل الملك . كما قيل الملئكة الرب محيطة بخايفيه وينجيهم مثل انسان يقع بايدي اللصوص القتلة . فيلتجي بالجائزين . فحين يروه مضنوكاً من اعدايه . فكل منهم يتقلد بآلات الحرب ويركب فرصه ويحث ارفاقه . ويسعوا ليدركوا اللصوص ويجروا معهم كل من يروا بسرعةٍ خفيفة ليحاربوهم حتى الندم ويخلصوا الواقع بين اللصوص ولو كان ذاك غريباً لم يعرفوه . فهكذا يجري فيما بين النَّاس اذا وقع احدا فيما بين اللصوص فيأتوا الناس لمعونته ويخلصوه . فكم بالحري ابونا السماوي مع قواته حين يسمع صراخ ابنائه المومونين منه . اذ رآهم منضغطين من اعدائهم فيلبسون غيرةً ويتلوا غضباً على اعداء صنعة يديه . والقوات الملئكة لم يروا ان اصواتنا قد بحت من صراخنا . فيأتوا لاسعافنا . واما القوات لم يسمعونا قايلين احكم لحكمنا يا ربنا وانتقم لظلامتنا . ونجنا من الائمة الغاشين . وحارب عنا محاربينا . خذ سلاحاً مترساً وانهض لمعونتنا بل سيفك واشربه مقابل الذين يضطهدوننا . فلما يرونا مطروحين في هكذا اجهاد عظيم . ونحن في مثل هذا الضر الجسيم يصرخون على اعدائنا باصوات مفزعة . مرعبة مخوفة . فينصدموا ويتهدموا امامنا . فنقوى عليهم ونتشجّع . وكيشوع بن نون نلتفت كحواسنا وافكارنا ونقول . ها هوذا الرب الهنا يحارب اعدائنا

لاجل خلاصنا . فتقووا راعتزوا ولا تخافوا . فهناك الافكار والحواس تُعان .
ومع يشوع اعني العقل وارهم يطرد . لان العقل اذا كان مستيقظاً يطوف
كيشوع لينتقم من اعدايه . حينئذٍ اسرائيل اعني العقل . مع حواسه لينظر
ملتفتاً . فيرى الالوف متحصين من عن يمينه . والربوات منهدمين من عن شماله .
فاذا كان لنا مثل هذا الاب مسعفاً . وقوته لنا مساعدة. فلماذا نخاف. فنتشجع
ونقول مع النبي الرب نوري ومخلصي ممن اخاف . الرب عاضد حياتي ممن اجزع.
ان تحل على محلة لا يخاف قلبي . وان قام على قتالاً انا به موثقاً .الرب ناصرنا .
وعوننا باسم الرب . فهكذا ينبغي لنا الا نهدي من طلب الاعانة من ابينا .
والّا تفتر من اداء الشكر لاسم الهنا . ومع المرتل نشكر ونسبّح الرب قايلين
جيدًا هو الاعتراف للرب والترتيل لاسمك ايها العالي . الذي عبدت الشعوب لنا.
ووطيت الامم تحت اقدامنا . فالآن نتعجب من ضعفنا وفي استعباد اعدائنا
المردة كنا مكدونين فالثا قوّة الآن ليتقوى ضعفنا . وكيف اننا باسم ابينا
هدمنا اعدانا واسقطناهم امامنا وصاروا لنا متعبدين. فلنعلمن يقيناً ان هذه القوّة
التي احاطتنا حقيقة هي لابينا السماوي . ومع مداومة شكرنا نقول لك هو
الملك . والقوة والمجد الى ابد الابدين امين .

فقوله الملك اعني المعرفة التي تتبعها قوّة . وهذه القوّة قادرة على كل ما
تشا . والقوّة يتبعها مجدًا كقدر العقل . وهذه المعرفة زمنية زايلة . وابدية
دايمة باقية بغير زوال . فالزمنية كمعرفة المخلوقين المصنوعين . والابدية
فهي الازلية بغير زوال . كمعرفة الاله الخالق والضابط الكل . فان كان
معرفة المخلوقين المصنوعين من الخالق يتبعها قوّة ومجدًا كقدر فعلهم .
كقولك شمشون الجبار الموصوف بالقوّة . وجلياد الجبّار . وعوج بن الجبابرة
وامثالهم . المساين بالقوّة مع باقي الابرار والصديقين الذين تجبّروا بالبرارة .
واقتنوا بذلك اسماً وجاهاً . كل منهم على قدر تعبه وفعله ليتمجّد ويتدح .
وان كان جاه بعضهم زمني . وبعضهم ابدي . فكم بالحري قوّة ابونا
السموي جلّ وعلا توصف بالمجد . خبرنا القديس غريغوريوس عن راهب
ما تقي . فمدّ اليه جندياً ما ظالماً يده سالاً سيفه وجاياً ليقتل الراهب . فلمّا
رأى الراهب ان قتله ازف . فقال يا ماري يوحنا امسك يده . فبالحال يبست

يد الجندي للوقت فان كان قوّة انسان قديس فاضل هكذا لها قوّة سريعة . وتفعل هكذا الفعل العظيم . ترى قوّة الله تعالى الراهب هكذا مواهباً لخليقته. كم تكون سريعة للانقاذ . وكم تكون بالف ضعف اقوى من قوّة القديسين البارين . ذلك الذي جميع السماويين يخبرون مجده . والرفيع بديع عمل يديه . يوم الى يوم يبدي قولاً . وليل الى ليل يردي ذهناً . حيث ليس قول ولا كلام الذي لا تسمع اصواتهم . من اقاصي السماء مخرجه . ومنتهاه الى اقصا السماء. ليس من يختفي من سخونته . القادر على كل قوة . وكلما يشاء الرب يصنع . وهو الذي يهب القوّة للاقويا. بمعرفته وقوته يتسجدون. وجميع العارفين والشديدين في القوّة به يتمدحون . وهو الذي يحط الاقويا من على كراسيهم . ويرفع للعظمة والكرامة من الزبلة جميع المتواضعين . فاذاً لك يا الهنا الملك والقوّة والتسبحة الى ابد الابدين امين .

الذي لك يجب التسابيح مع التقاديس . ولك ينبغي التماجيد مع التعظيم . ولك يليق الاكرام مع الاحترام . ولك وحدك تستحق السجود والوقار . انت الذي اندهاش عقل معرفتك غير محدودة . وقوتك القادرة على كل قوّة تحرك خليقتك . لتشكرك وتمجدك وتمدحك بغير فتور . وبغير نهاية يبرهنون عن سعادة ملكوتك . ويزيعون جزيل مخافتك . ويكرزون عن بهاء جبراوتك. وجميع المخلوقات لا قدرة لها عن ايصاف قدرتك . وليس هم كفوا لتشكر عظمتك ذلك المتمجد وهو بمجده ممجد . وفي رفيع عزه يُسجد مبجّل . ويُكرم بعظمة مكرّم . ويتقدّس بقدسه مقدّس . ويتبارك بوقار مكانه مبارك . ذلك الذي صوت صافوره عزة مجده يقر . واصوات قرنه عن شكره يصوت . والقيثار مع الكينار افاعيله تخبّر . والدفوف والطبول عن حكمته تذيع . ونغمة الاوتار عجايب صنايعه تناغي . واصوات الصنوج بشاشة مراحمه تعلن وكل نسمة الى لاهوته تسبح الذي التسابيح لثلاثة اقانيمه ووحدانية طبعه تمجد الآن وكل آوان ولابد الابدين

آمين

تعريف عن الكتب

الكميت بن زيد الأسدي، شاعر الشيعة السياسي في العصر الأموي

تأليف الدكتور احمد صلاح الدين نجا

وهو الكتاب الاول من سلسلة الادب السياسي – قدَّم له الاستاذ فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية – جاء بمائتين واربعين صفحة من الحجم المتوسط – طبع ونشر دار العصر، بيروت

هذا كتاب جديد ظهر حديثاً الى عالم الوجود فتبوأ مركزاً لائقاً وسدَّ فراغاً واسعاً في عالمنا الادبي ويكفي ان يكون قد مهَّد السبيل امامنا الى معرفة شاعر كبير مبرز سار في الطليعة وحاز قصب السبق في مجال الجهاد والنضال وفي سبيل مبدأ يعتنقه وعقيدة يدين الى الله بها .

هذا الشاعر هو الكميت بن زيد الاسدي محامي الهاشميين الذي تجنى عليه التاريخ وطمس على آثاره الادبية فلم يذكر منها الا القليل، واذا كان لي ما اقوله في الكتاب ومؤلفه الدكتور نجا فهو تهنئته على جرأته الادبية واقدامه على خوض غمار هذا الموضوع المجهول في عالمنا الادبي والمعدوم من المصادر التي تفي بالحاجة وتروي الظمأ وخاصةً لذلك العصر السياسي المضطرب الذي عاش فيه الكميت المجاهد المعارض لنظام الحكم الناقم على الأوضاع الثائر على الحكام .

قرأت الكتاب وامعنت النظر فيه وعدت ثانيةً الى بعض مواضيعه اعيد قراءتها واستعيد جملها ولقد كنت اقف مليًّا امام وصف حياة الكميت وتحليل عصره السياسي ومقابلة خواطره الشعرية مأخوذًا بدقة البحث ووضوح البيان ومتانة الاسلوب .

هذه كلمة موجزة اقولها وانا واثق من صوابها وتجردها ومما يجب ان يذكر ان المؤلف قد حلّق في الاجواء العالية ووفى الموضوع حقه عند بحثه عصر الكميت السياسي ومجتمعه وحياته الادبية والحقيقة ان كتابه جدير بكل تقدير واعجاب .

هناك بعض مآخذ اراها غير جديرة بالذكر على انه لا بد لي من الاشارة الى واحدة منها وهي ان الكميت لم يكن شاعرًا سياسيًا فحسب واني اخالف بالرأي كل من يعتقد ذلك وانما شاعر عقيدة من الطراز الاول وهو بنظري كابن هانى الاندلسي لدى الفاطميين واننا اذا وقفنا امام الكميت وهو يقول :

« الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نالني انقربُ »

ادركنا ان يعلن بجرأة اعتقاده الديني الصريح ويجاهر بالقول بان « آل بيت رسول المسلمين » هم الواسطة بينه وبين الله فهو يجلهم عن كل رتبة سياسية ... بل يرفعهم عن مرتبة الخلفاء. ويضعهم بمقام الانبياء الذين يأتون لهداية البشر ومعرفة الله . وباعتقادي ان من يصل الى هذا الحد من الاعتقاد يصبح بمنجاة من كل تأثير سياسي يراد ابعاده عن عقيدته .

ظلّت هناك كلمة فؤاد افرام البستاني التي اضفى عليها من علمه الجم وادبه الغزير ما جعلها كلمة جامعة تذخر بكل قوة وعمق فضلًا عن انها دعوة عامة لادبائنا ليعملوا على اخراج كنوزنا الادبية من مخابئها واظهار ما خفي من تاريخنا .

ومهما يكن من امر فلا يسعنا الا تهنئة الدكتور نجا على مؤلفه القيم فهو والحق يقال دراسة قيمة تذخر بالادب الوجداني ومن الكتب التي لا غنى للاديب عن قراءتها واتخاذها من المصادر الادبية القيمة .

بقي علينا ان نقول بان للكميت بن زيد شبيهاً من قبيلة بني اسد العربية العريقة بتشيعها لشاعر مجهول عاش في عصر متأخر عن الكميت هو « الامير مزيد الحلي الاسدي » وهذا ايضاً شاعر عقيدة من الطراز الاول واننا الآن في طريقنا لطبع ديوانه مع اصدار دراسة عنه وسيكون للكميت ذكر في هذه الدراسة ان شاء الله .

عارف تامر

القواعد الفلسفية للمعتزلة، اول المفكرين في الاسلام

تأليف البر ن . نادر دكتور في الآداب

هذا كتاب وضعه باللغة الافرنسية الدكتور البرت ن . نادر وقامت بطبعه المطبعة الكاثوليكية على ٣٥٠ صفحة بحجم عادي لحساب المعهد الشرقي للآداب في جامعة القديس يوسف الذي اعتبره من منشوراته لعام ١٩٥٦

باعتقادي ان الكتابة عن الفرق الاسلامية التي اعتنقت مذاهب فلسفية خاصة تعتبر مجازفة ربما لا يسلم صاحبها من النقد والاخطاء، وقلّما يتمكن الباحث من اجتيازها بسلام، والمعتزلة من الفرق الاسلامية التي اعتنقت مذهباً فلسفياً خاصاً كان له اثره الهام في مجال الفكر الاسلامي وقد بدأ كدعوة فكرية وفكرة عقائدية دينية جاهر فيها كل من معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري الذين قالوا بالقدر وانكار اضافة الخير والشر اليه، وقد نسج على منوالهم بادئ بدء واصل بن عطاء. وهذا كان من تلامذة الحسن البصري وفي هذه الفترة ظهرت فرق اسلامية كثيرة كان اهمها « الوعيدية » و « المرجئة » و « الجبرية » و « القدرية » فاعتزل عنهم « واصل » ووضع نظرية فلسفية متساوية محاولاً التقريب والتوفيق بين النظريتين، وعلى اثرها سمى هو ومن اتبعه (المعتزلة) .

من الجلي الظاهر ان هذه الفرقة انتجت علماء اجلاء ضربوا بسهم وافر في مجال العلم والعقل والفلسفة، وقد ظهر اثرهم الفكري في عصر المأمون وخاصة بعد ان عكفوا على قراءة كتب اليونان وترجمتها ونقلها، وظهرت بعد ذلك وفي هذه الفترة مسألة (علم الكلام) وكان داعيهم (ابو الهذيل العلّاف) ممن قال بهذا الرأي ودعى اليه والى القول بان الباري تعالى عالم بعلمه وعلمه ذاته وقادر بقدرته وقدرته ذاته . هذا وانهم لقبوا ايضاً (باصحاب العدل والتوحيد والقدرية) وقالوا بان الله قديم لان القدم احسن وصف لذاته، وقالوا بنفي الصفات القديمة لان الله عالم بذاته قادر بذاته وحي بذاته واتفقوا على نفي

رؤية الله تعالى بالابصار وفي دار القرار ونفي التشبيه عنه وأوجبوا تأويل القرآن وسمّوا هذا توحيداً ، ثم انهم قالوا بالعدل والتخيير وقالوا عدلاً لان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة والرب تعالى منزه من ان يضاف اليه شرّاً او ظلماً لانه لو خلق الظلم لكان ظالماً كما لو خلق العدل لكان عادلاً . واتفقوا ايضاً على ان المؤمن اذا ترك الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب وسمّوا هذا وعداً ووعيداً .

هذا قليل من كثير من اراء المعتزلة لمحنا اليه تلميحاً وهناك اراء اخرى لا يمكن التطرق الى بحثها لانها تشكل موضوعاً مستقلاً ، ومهما يكن من امر فجميعها وردت بالكتاب بشكل مفصل موزون منسق خالٍ من كل تعقيد . قرأت الكتاب ووقفت عند كل فصل من فصوله امحصه واقابله واستعرضه والحقيقة ان فيه كل ما يفيد الباحث ، واني اذ اطالب اعتبار هذا الكتاب من المصادر القيمة في الاسلام افعل والاعتقاد يسودني بان فيه دراسة عظيمة وجهد بالغ ومادة قوية يستحق المؤلف عليها كل ثناء وتقدير . كل هذه الاسباب تدفعنا لتقديم تهانينا للدكتور نادر على كتابه القيم آملين من الباحثين احلال هذا الكتاب المنزلة التي يستحقها بين المصادر التي يعتمد عليها في الدراسات الاسلامية والشرقية .

عارف تامر

سنان وصلاح الدين ـــ قصة تاريخية

بقلم عارف تامر

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٦ ــ ١٥٥ ص قطع متوسط

يلمح المؤلف الى ان صلاح الدين كان يظن الظنون بسنان شيخ الجبل ويحاول قهر الاسماعيلية والاستيلاء على قلاعهم مصياف والمرقب والقدموس والكهف وصهيون الخ. ولذا فقد اخذ المؤلف على عاتقه ان يبين ان الاسماعيلية امة عظيمة تتطلع باعباء رسالة سامية اخذوا على عاتقهم نشرها في كل بلد وهي تحمل النور والعدالة والمساواة والعلم وهذا العالم الغارق في ظلمات الهمجية والجهل . ويبرهن على انهم ابرياء مما يتهمهم المسلمون اذ انهم حمى الوطن ضد الاجانب الصليبيين .

وهذه الامة لا تخلو من الشعر والشعراء والغزل والحب .

وقد راح المؤلف يسرد علينا ما جمع بعد ذلك بين سنان وصلاح الدين وهو عهد على حرب الصليبين . فيقوم الفدائيون الاسماعيليون بدور كبير يتمّ به قهر الصليبيين في حطين وفتح بيت المقدس .

قصة يتتبعها القارئ بانتباه ويغرف منها دروساً شائقة متينة . ولكنه يودّ لو نشر المؤلف المستندات والوثائق التي تعيد لتلك الامة الاسماعيلية صفاء الحكم عليها في كتب المؤلفين الشرقيين والغربيين . ا . ع . خ .

ابن الحريري ومقاماته

بقلم الدكتور محمد احمد الصديقي

جامعة اله اباد ١٩٥٣ — ٢٣٢ صفحة قطع كبير

يرى المؤلف ان من مزايا العصر العباسي ان الادباء خرجوا عمّا كانوا عليه من الاسلوب المألوف من قبل وبذلوا جهدهم الى تحسين الالفاظ وتزيينها وتكرار جملة بعد جملة ورأوا ان ذلك التنويع يحرّك العواطف . . . الخ . ومن اواخر العصر العباسي اتقن البلغاء السجع واكثروا الجناس والبديع حتى ترى اقوالهم مزخرفة . . . والحريري قد نشأ في هذا العصر عصر الدولة السلجوقية ايام ملكشاه اعظم ملوكهم . ففاق على الاقران وطبق صيت بلاغته الخافقين فأمّه الادباء والعلماء يحضرون مجلسه للاستفادة من علمه وأدبه». (ص١٨و٢٧)

ان خروج الادباء عن المنهج القديم نهج ابن المقفع وعبد الحميد ابن الكاتب في آخر العصر العباسي واتقانهم السجع والبديع لم يكن مزية بل كان دليلاً على ضعف اللغة . لكن ذلك لا ينقص من قيمة الحريري حبيب الهند وصديق الصديقي الفضل .

لقد المّ المؤلف بموضوعه واطّلع على ما قيل عن المقامات وتوسّع بذكر ذلك حتى تطرّق الى ذكر اشيا. كان في غنى عنها مثلاً (ص ١٨٠) وقد قسى كثيراً على البديع وجعل الحريري من القمة التي لا تنال . وان يكن للحريري فضل على بديع الزمان فذلك بتفصيل معانيه وايرادها باسلوب منطقي (المقامة التي تدلنا على الحوار بين رجل وزوجته) فهي مثال نادر للانشا. في الكتابة العربية.

لكن تساءلت في امر الهمزة . فهل حلّ اهل الهند مشكلة كتابتها فيقولون : اقرء ويقرء عليه . ويثني على ذكاءه . ويصحح اراءه . وبين امرء القيس وبينه الخ . بدلًا من اقرأ ويقرأ عليه ويثني على ذكائه ويصحح اراءه وبين امرئ القيس وبينه ... امّا مصائب فالاصحّ ان تكتب مصايب ... واستعمال حروف التعدية كقوله : كان الناس معتادين بشرب الخمر في الدولة العباسية . وكانوا لا يكترثون بالاحكام ... فالاصح حذف الباء من شرب وابدال اللام بالباء من الاحكام الخ ...

وقال : اول من عنى بالنحو هو (هم) اهل البصرة (ص ١٢) — ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه (جله) (ص ١٥) — ان ملوك هذه السلاجقة ووزرائها (ووزراءها) (ص ٢٤) .. له اخبار من نتف لحيته ودمامة خلقه (وليس للتعبيرين شبه) (ص ٣٢) — غير انه رغم انتشار حرية الفكر في عصره لارتقاء الفلسفة ظلّ مقيدًا بالقيود الدينية في افعاله وافكاره (ص ٣٨)— صيغة مقامة ومعانيها (ص ٨٠) — كلام جرجي زيدان يراجع بلفظه(ص٩٢)— يروى عن اديب انه اجاب ... (ومن هو ذاك الاديب) (ص ٨٧) — من كتب مقامات (ص ١٠٣) — الخ ...

ولقد دافع عن مجون الحريري وغزله فوق ما يجب . وكان عليه ان يعرض وهو مؤرخ لا ان يجادل . وكان الاصلح ان يتوسع بما اتى به لا ان يرسم خطوطاً عاجلة ويكتفي بها منتفعاً من تقدم العلوم النفسانية وجاداً في تطبيق المبادئ على عقلية كاتب يحلّه في اعلى مقام المؤلفين . ولكننا نحبّذ صنع المؤلف اذ جدّ في تأليف كتاب عن الحريري ولو ظلت ميزته مدرسية ، ضمنه اشياء كثيرة وحسنة .

ا. ع. خليفه اليسوعي

طبقات الاطباء والحكماء

تأليف ابي داود سليمان بن حسان الاندلسي (المعروف بابن جلجل) تحقيق فؤاد سيد

مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ — ١٣٨ صفحة قطع كبير

يقول ادوارد ج. براون في مستهل رابع محاضرة من كتابه «الطب العربي» ان «قرطبة انتجت في القرن العاشر اكبر جراحي العرب وهو ابو القاسم الزهراوي

المعروف في القرون الوسطى باسم ألبوقاسيس وألسهرافيوس ، وقد كان معاصراً لطبيب البلاط ابن جلجل الذي — ويا للاسف — لم يبقَ أثر لكتابه في طبقات الاطباء والحكماء » .

ولكن في الواقع لم يكن هذا الكتاب قد فقد بل كان في حوزة عالم مغربيٍّ حتى سنة ١٩٥٠ فاتيح للسيّد فؤاد السيّد الاطلاع على محتوياته ونشره بعد أن حقّق ودقّق فيه ، ونقده ، وأتحفه بملاحظات . ومعلومات كثيرة قيّمة . فله الشكر كل الشكر . ولهذا الكتاب اهمية كبرى لاسباب شتى تكلّم عنها الناشر في مقدّمته . فهو كتاب استُقِيَتْ بعض معلوماته من اخبار مروية بالسماع والبعض الآخر من ترجمات عربية لاصول لاتينيـة والمعهود ان اكثر الترجمات جاءت من مصادر يونانية .

ويعتبر هذا الكتاب من أهم التراجم للحكماء والاطباء عند العرب الفه ابن جلجل سنة ٣٧٧ هـ اي في نفس السنة التي ألّف بهـا ابن النديم كتابه « الفهرست » . وهو ايضاً من اقدم التراجم وان لم يكن اقدمها على الاطلاق اذ كان اسحق بن حنين قد سبقها الى هذا النوع .

وبالرغم من بعض الاوهام التاريخية اشار اليها الناشر فقد جاء ابن جلجل بمعلومات تاريخية قيمة ، انفرد بها ونقلها عنه مشاهير المؤرخين في القرن الثالث عشر امثال ابن خلكان والقفطي وابن ابي أصيبعة ككلامـه مثلاً عن الكندي المعروف « بفيلسوف العرب وفيلسوف الاسلام » والـذي ينتهي نسبه الى قحطان . او كلامه عن مـاسرجويه الطبيب البصري وحركة النقل والترجمة في صدر الدولة الامويّة . وهناك ايضاً ما اورده عن حالة الطب في الأندلس وكيف لم يكن حتى منتصف القرن التاسع الا اطباء نصارى يعتمدون على ترجمة عربية من اصل لاتيني لكتاب « ابريستم » (Aphorismes) لبقراط . ثم يذكر ظهور بعض الاطباء الاندلسيين المهرة والنهضة العلميَّـة التي تبعث انتشار الكتب الطبيَّة والعلميَّة التي جاءت من المشرق في عهدي عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم .

ولكن هنالك نقطة استفهام . اورد ابن جلجل تراجم كثيرة لاطباء وحكماء اندلسيين انفرد بذكر اكثرها ولم يبقَ لاصحابها اثر كبير بعد موتهم .

فلمَ لم يذكر ابن جلجل اهمهم – اكبر جراحي العرب – وذوي الاثر العظيم على الطب الاوروبي في القرون الوسطى، ابو القاسم الزهراوي وكان قد عاصره، وكلاهما كانا اطباء البلاط: ابو القاسم لعبد الرحمن الناصر وابن جلجل للمؤيد بالله هشام؟

جبرائيل مخلوف اليسوعي

La découverte du passé — Progrès récents et techniques nouvelles en préhistoire et en archéologie. — Études réunies par A. Laming. — Éd. Picard, 1952. Paris.

لقد دخلت ازمان ما قبل التاريخ وعلم الاثار القديمة في عهد علمي يحتلان فيه مقاماً اخذت خطورته بالازدياد وذلك بسبب الاشواط التي قطعها «التكنيك» في ميدان الاكتشافات وفي مضمار العلوم الفيزيائية والطبيعية، فقد اسفرت محاولات غير مرتقبة وطرق متنوّعة من اسداء جلى الخدمات الى اعـادة انشاء الماضي فهناك خلا التقاط الرسوم الشمسية من الجوّ التي يعود تاريخ استخدامها الى ابعد من عشرين سنة اساليب تنقيب علماء طبقات الارض وهناك تحليـل الاتربة الكيمياني وهناك الآن اكتشاف المناجم التي استخدمت في اثناء الحرب وقد غدت تستخدم في اكتشاف المدن وتحليل النظام كيمائياً ودراسة اتساع دوائر الجسور ومغنطة الخزف حرارياً وفضلاً عن هـذا كله ثمة تصوير القوة اشعاعياً تصويراً بات معمولاً به لتعيين تاريخ الاثار التي يعثر عليها المنقبون كما ان هناك دراسات اخرى وليدة علوم شتى تخوّلنا اعادة انشاء الوسط الذي تدرّج فيـه انسان الازمان الماضية واعادة انشاء طرقه التجارية وفنونه الخ ...

واذا كان ثمة كتب عدة تتعلق بمعرفتنا الحالية لازمان ما قبل التاريخ فليس من بينها ما يدرس ببعض الاسهاب والتفصيل الاساليب العلمية المستخدمة لبلوغ هذه المعرفة، فهذه الثلمة هي التي سدّها كتاب «اكتشاف الماضي» الذي استثمر واضعوه ذلك فحشدوا له من الاختصاصيين الفرنسيين والاجانب الذين بمقدورهم وحدهم الوصول في تعمقهم الى الحد الاقصى في كل منهج واسلوب يتصلان بهذا الامر لانجازه بدقة وعلى قدر ما هو ممكن وتمهيداً للصعوبات والامور التي لم تصبح بعد في حيز الممكنات، ولقد طُلب الى كل منهم ان يبـذل مجهوده في الباب الذي عُني بدراسته التقليل على قدر المستطاع من مظهره الفني (التكنيكي) ليكون ما كتبه في متناول جميع دارسي ازمان ما قبـل التاريخ وجميع علماء

الآثار القديمة ، اما الذين يرغبون في الاستزادة من التعمق في احد هذين الفرعين فقد جمعت لهم في نهاية الكتاب اسماء الكتب الموجزة والمعلومات العملية التي تتصل بكل فصل من فصوله . ب. ن

توما الاكويني

بقلم ميخائيل ضومط

المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٦ ، ١٤٦ صفحة قطع كبير

ما من دراسة لدينا في اللغة العربية عن القديس توما فلقد تُرجمت مؤلفاته الخلاصة اللاهوتية (La Somme) وردوده على الوثنيين والماهية والوجود (essentia et existentia) وجيء ببيان عن افكاره الرئيسية في مقدمات هذه المؤلفات وانما لم يتصدَّ احد قط الى اتحافنا بدراسة مسألة معيّنة.

والاب ضومط (وقد اصبح مطراناً على ابرشية صور) الذي عانى التعليم وانصرف الى البحث مدة طويلة وكان فاحصاً في البكالوريا اللبنانية قد اتحفنا بهذه الدراسة المقارنة بين فكر الملفان الملائكي وفكر الفلاسفة المسلمين ولا سيما الفيلسوف ابن الرشد ، فقد استعرض نقاطاً عدة وتقصّاها وتلخص من مقارنتها النتائج التالية : سرمدية العالم واتفاق الغاية مع العقل ومعرفة ما ينطبق بشكل ناقص على قسم واحد من احد الانواع والاجناس ووحدة الروح والارادة الانسانية ، وتتصل حلقات الجدل وتتعاقب البراهين ويظهر الوضوح . اما ابن الرشد فقد غاب عن نظره عدد كبير من المبادئ الفلسفية فتلخص نتائج كان تأثيرها في الاخلاقيات وحتى في تفكير الانسان باعثاً على الاسف .

وفي القسم الثاني عرض المؤلف بشكل موجز وواضح البراهين التي استند اليها القديس توما ليبرهن على وجود الله (الطرق الخمس) وهي روحية النفس والمعرفة وحرّية الانسان والناموس الطبيعي والتطور المستديم .

ويضع المؤلف في متناولنا في قسمه الاخير مختارات من مؤلفات القديس توما ، وفي هذه الصفحات المختلفة صفحة تبين ما كانه القديس توما في شروحه اما انتقاء بقية المختارات فمتقن ، واننا لندرك المؤلف الذي اوضح لنا في هذا المقام فلسفة الاكويني فبلغ كفايته ومقدرته كلاهوتي بعيد النظر في كتابه هذا ،

وانما لتواقون الى ان لا يدعنا بدون ان يتحفنا بدراسات اخرى ممتعة كل هذا الامتاع . ا. ع. خليفه اليسوعي

خمس رسائل اسماعيلية

تحقيق عارف تامر وتقديمه

دار الانصاف للتأليف والطباعة والنشر ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٣ م، ١٧٩ صفحة

لقد اصبح المؤلف معروفاً من وراء منشوراته عن الاسماعيليين وادبهم ، فمنذ القصيدة الصورية اصدر دراسات كثيرة اخرى اشار اليها في مقدمة هذه الدراسة.

والرسائل الاسماعيلية الخمس هذه ثمرة التعلم ورشيقة الانشاء . فالمؤلفون يندفعون فيها احياناً متحمسين بالافكار الفلسفية التي يتوسعون فيها توسعاً صار الى بعث الرغبة في الاطلاع عليها كرسالة تحفة المستجيبين للسجستاني .

وكما نأسف شديد الاسف رؤيتنا هذه الاسرار وهذه العبارات لا يبرح مفتاح تفسيرها يغرب عنا ويقف حائلًا دوننا ودون فهمها .

واننا لنحسّ في كل موضع منها بالتأثر من الفكر والشعور المرهف التصوفي، فلذلك نحن بفارغ الصبر ننتظر ان يتحفنا المؤلف بدراسة مسندة فيها مفتاح هذه الباطنية وانه لفاعل وانه عالتنا ذلك . ا. ع. خ

محاضرات عن ابراهيم المازني ، ١٩٥٤

بقلم الدكتور محمد مندور

٤٧ صفحة — مطبعة دار الهنا بشارع الصحافة — بولاق — مصر — معهد الدراسات العالية بجامعة الدول العربية — محاضرات عن خليل مطران ١٩٥٤—٤٤ صفحة ، المطبعة نفسها — محاضرات عن مسرحيات شوقي ١٩٥٥—٧٧ صفحة دار مصر للطباعة

يبدو الكاتب في هذه الدراسات الثلاث عالم نفس دقيقاً ومحللًا للعواطف رشيقاً ونقادة رصيناً ، فهو لم يضحّ بشيء لا في سبيل الذوق ولا في سبيل الزيّ الجديد .

وفي دراسته للمازني قد تحرّى تطوّره النفساني الثوري محاولًا تحليل طبائعه في اوضاعه البيئة التي نشأ فيها ولكنه ظلّ صائب النظر ليؤكد ان جديد المازني الذي اراد ان يبثه في الشعر مع من سار في ركابهم جنباً لجنب لم يكن

الا من الباب التقليدي ، فالمازني المنكمش على نفسه والذي انتقل من التعليم الى امتهان الادب والصحافة لم يستطع قط التخلي عن ذاتيته فهو قد احيا ابسط دقيقة من دقائق حياته في كتاباته ، وهذا كما قال الكاتب بحق يتجلى في جميع مظاهر حياة المازني الادبية . كان شاعرًا وناقدًا صاحب مقالات لا قصاصًا.

وفي حديث الكاتب عن خليل مطران لم يكن بمقدوره ان يكتم اعجابه بهذا الاديب المنطلق التفكير وذي الروح الانسانية اللذين خولاه التجديد حقًا ولا سيما في الشعر ليستحق عن جدارة لقب شاعر القطرين .

ويسهب المؤلف في دراسة الملاحم ، هذا الضرب من النفس الشعري الذي يتفوق فيه شاعر القطرين ليكون المطران مجددًا في جميع هذه الابواب .

ومن ثم حوّل الكاتب اعجاباً اشد الى شوقي شاعر المأساة والقوة والعظمة وفرة العواطف فاسهب بحق في كلامه على كثرة الاساطير التي تتخلل مسرحيات شوقي وقد اضرّت فعلًا بابغا. مسرحيته حقها من التوسيع المنسجم كما في رواية « مجنون ليلى وعنترة » .

وفضلًا عن ذلك فان شوقي على ما يبدو لم يعرف ان يوقظ في المستمع لروايته معنى العطف كروايته « كليوبترا » ولم يعرف ان يوقظ فيه شعورًا لانها رواية باردة جدًّا وبدون حياة .

واننا لا نستطيع في دراسات منذور الثلاث الا ان نثني على المؤلف وان نشحذ عزيمته ليتحفنا بدراسات موضوعية بصدد ادبنا. معاصرين بالدقة نفسها في نقده .

ا. ع. خ

الشبك من فرق الغلاة في العراق

بقلم احمد حامد الصرّاف

اصلهم ، لغتهم ، قراهم ، عقائدهم ، اوابدهم ، عاداتهم – مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٤ ، ٣٠٤ صفحات

ما برحنا ونحن في القرن العشرين لا نجهل فقط التفصيلات عن احد الشعوب ولكننا ما زلنا نجهل حياتهم نفسها وان مثل هذه الشعوب التي انقطعت عن مخالطة الناس والتي عرفت ان تعتصم بالصمت حول دينها وحياتها لم يكن

يقدورها الا ان تنطفئ او ان تندثر تقريباً ، لانه ليس هناك شعر ولا ظاهرة حياة روحية لتتميز بها .

ولقد تمكن واضع هذا الكتاب — عن طريق الحيلة — من الوصول الى انتزاع بعض التفصيلات عن هذه الفرقة من فرق الغلاة التي على ما يظهر هي بقية قديمة من البقايا التركية وقد احتفظت ببعض التقاليد التي تشير الى مبلغ تأثيرها العظيم فيها ، كالاعتراف مثلاً الذي يعترفونه لزعيمهم الروحي اذا ما ارتكبوا معصية لانه الرئيس الوحيد الذي يستطيع ان يغفرها لهم . ومع ذلك يبدو ان الدين الاسلامي هو بالاساس دينهم لانهم يقولون باقواله الرئيسية ويسلمون بمحمد وان فضّلوا علياً واسبغوا عليه من الميزات ما لا يسبغها الاسلام عليه ، وعلى الرغم من كل ذلك فهم لا يصلّون ولا يصومون ولا يحرمون شرب الخمر ويعترفون بالتثليث .

ولا بدّ من الرجوع الى النوبختي او الى البغدادي او الى الاسفراييني او الى ابن حزم لترى ما يقولونه عن الفرق . ان ما يقوله هؤلاء ليس الا معلومات غامضة عامة لا تغني الباحث ولا تسدّ من جوعه .

ويحق للمؤلف ان يسهب على الفكرة الصوفية لدى هذه الفرقة وان يصف درجاتها وان يحلّل الاقوال الرئيسية التي تقول بها ولكننا نتساءل عن الاسباب التي دفعته الى مهاجمة المسيحية اذا ما اراد الدفاع عن الاسلام ، وانه قد اكد ان الدين المسيحي هو الذي انشأ،اذا شئنا القول،النظرية الحلولية بحسب طريقته الاشد تطرّفاً ، غير ان المؤلف يجهل المسيحية التي لم تفعل منذ البدء سوى مقاومة الحلولية مؤكدة سمو الله وحقارة المخلوق ، ولكنه اذا كان الحلاج قد اكد اتحاده بالله فلماذا ينسب هذه الاضاليل الى تأثير المسيحية ؟ واننا لنرغب الى المؤلف الذي يبدو انه من رجال البحث ان لا يظهر متحيزاً كل هذا التحيز الى جهة واحدة وان لا يتقيد كل هذا التقيد ليكرر ما يقال في الاسلام ضد المسيحية .

وعلى الرغم من كل ذلك فنحن نحفظ للكتاب قيمته وانما يبدو لنا ان الكاتب كان باستطاعته الاتيان بمؤلف علمي اشد تعمقاً فيما لو كان اشد موضوعية .

واننا نتمنى ان يزداد عدد هذه المصنفات وبذلك سنفوز بوسيلة عمل جدّي نافع .

ا. ع. خ

المحاضرة الافتتاحية ١٩٥٣ــ١٩٥٤

بقلم ساطع الحصري

جامعة الدول العربية – معهد الدراسات العربية العالية – مصر ١٩٥٤ – دار مصر للطباعة ، ٢٣ صفحة .

توضح هذه الدراسة الافتتاحية غاية هذا المعهد الذي يتولى المؤلف رئاسته وهي : بثّ فكرة الوحدة في العرب عن طريق شتى الدراسات التي تلقي نورًا جليًا على ماضيهم وثرواتهم فهم اذا ما فكّروا في مغزى وحدتهم اللغوية والقومية لن تبقى التقسيمات الاقليمية ذات بال – ويؤخذ من قول المؤلف ان الدول العربية قد حالت دون تقدم الشعوب العربية ، اما الآن فقد حانت الساعة ليتوحدوا – ولقد كنا نتمنى ان لا يكون محل للسياسة في هذا المعهد وان يظل هدف المحاضرين والاساتذة دائمًا الهدف العلمي .

محاضرات عن مي زيادة مع رائدات النهضة النسائية الحديثة

بقلم الدكتور منصور فهمي

المعهد نفسه ١٩٥٥ ، مطبعة دار الهنا ، ٢١٤ صفحة

لقد عكف المؤلف بعطف على هذه الدراسة التي نحسّ في كل صفحة من صفحاتها قلباً يخفق منسجم الايقاع مع تلك النفس التي امضّها الالم لانها ربما كانت معجبة بذاتها ونودّ على كل حالٍ تخليد ذكراها ، وان رسائلها للدكتور يعقوب صروف لتعلن ذلك بوضوح وان العزلة التي اخلدت للعيش فيها بعد وفاة جبران لا تدع سبيلًا للتردد في هذا الامر اما رسائلها فأثرة رائعة بسبب ما تضمنته من احساس مرهف وبساطة وصراحة فهي تذكرنا برسائل السيدة ده سيفنيه .

وذكر الكاتب في هذه المحاضرات المختلفة بتأثير مي الجوهري في الادب وفي الحركة النسائية والتقدم الاجتماعي الانساني ، وقال ان شعراء ذلك العهد كانوا يعتبرون النفس سعداء اذا عاشوا بصحبتها كما كان غيرهم يغبط النفس على ارتياد حلقتها والاجتماع بصحبه فيها وذلك لانهم لم يروا في مي انها المرأة

المتقنة وحسب وانما قد رأوا فيها اكثر من ذلك فقد رأوا فيها المرأة الاديبة الدقيقة والمرأة الادبية الجريئة ، وليس هذا الكتاب الا تقريظاً رائعاً لمي .

والقسم الثاني من هذا المؤلف يتناول عائشة التيمورية ومن ثم وردة اليازجي فباحثة البادية ويتلوه فصل في ميّ الادبية ومن ثم يختمه بالنهاية الاليمة.

ولقد كان من الضروري ان يطيل كلامه في تلك النهضة النسائية التي ما برح تأثيرها قائماً حتى يومنا الحاضر، ولقد كان المؤلف في هذه الفصول بعيد النظر ودقيقاً في وصفه واستشهاده ببعض النصوص وايضاح بعض النقاط. ا.ع.خ

Paul Mus. — *Le Destin de l'Union Française*. in-8°, de 360 pp. Collect. Esprit « frontière ouverte ». Ed. du Seuil, Paris, 1954.

تلقى السيد بول موز دروسه الثانوية في كلية هانوى وكان عضواً في معهد الشرق الاقصى الفرنسي كما كان مستشاراً لدى لكرك ودرجنليو وبولار .

واضطلع من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٥٠ بمديرية معهد فرنسة وراء البحار ، فهو والحالة هذه خير من يستطيع ان يحدثنا عن الاتحاد الفرنسي وان يلفتنا لفتاً له قيمته الى افريقية لانه من اصحاب البصيرة النافذة في اقواله ومن اهل الخبرة والاستقامة الكبرى، لان فضيلة المحبة فيه قامت على معرفته وضع نفسه موضع غيره وتبني حالته واعتناق وجهة نظره .

واوضح لنا هذا الكاتب — منطلقاً من حدث — كيف شهد صبيحة احد ايام القتال شعب الهند الصينية الصغير يستيقظ على مسؤوليات استقلاله ويندفع بخطى هادئة الى حيث كان عليه ان يناهض .

ان ما كان ينبغي لنا ان نراه منذ سنة ١٩٣٠ هو الامر الذي لا يراه في يومنا الحاضر الا النفر القليل : اي انه كان علينا التحول عن الاستعمار وايصال ارادة شعوب ما وراء البحار الى التوغل في الصعود وذلك ليس عن طريق القيود القانونية والادارية وانما عن طريق التفاهم الطوعي الاختياري الحر كل الحرية — المتضمن حتى امكان الرفض — اجل ان في ذلك ما يحمل النفس على المخاطرة ولكن الحياة نفسها هي مخاطرة ... ان الواجب يقضي علينا بان نصرف الخطو الى الامام وان ندلل بالبرهان على الحياة ونحن نجد في السير...

ومهما يكن من امر ان الحرب في الهند الصينية قد اقامت الدليل على ان محاولة

توطيد الاستعمار الراهن توطيدًا على شاكلة ما يبشر به المستعمرون المحافظون المتعنتين من طراز جورج هاردي لم يكن سوى حلّ لا مخرج منه او بالاحرى انه ذو مخرج فاجع .

ولقد كانت العملية من ناحية الوطن الام خاطئة « فنحن لا نشكو حقًا من الخفة بل على العكس من ازدياد وزن التخلي عن مصالحنا ، لان الناخبين لم يزيلوا عن عواتقهم امر قيادة البلاد الا ليلقوا بها لا على رجال لم يحتفظوا فيهم امام نظرهم بل على احزاب – لهم لوائحهم وبرامجهم المحدودة – وهذه اللوائح والبرامج التي تنظم عن طريقة اللعبة الدستورية البسيطة – ومن ثم تلقى الاحزاب عن عاتقها امر القيادة الى العدد المحدّد من مستوزريها ، وبهذا العمل نفسه تلقي الهيئة التشريعية الحمل عن ظهرها لتحمله الهيئة التنفيذية ، وكذلك الحكومة تلقى هذا العب. بدورها على الرجال الفنيين. اما القانون فيلقيه على الانظمة .. »

اذا كنا نريد المحافظة على وحدة الاتحاد الفرنسي العضوية ينبغي لنا ان تذلل متناقضات الاستعمار وذلك بان نضيف الى هذا الهيكل العضوي لا رباطًا خارجيًا ولكن نطاقًا حيويًا اوسع ، هو مدى الارادة والحرية التامة اللتين تكونان موضوعيتين في دستور يجعل السياسة في وضع يمكنها من اعطاء حكمها في الادارة . وفي سبيل التفادي عن تكديس الاجزاء بعضها الى بعض لايجاد وحدة بين جميع الاجزاء المختلفة من الواجب ان يكون الهيكل العضوي الناجم عن الاتحاد اكثر من حاصل جمع هذه الاجزاء ، واننا لنفكر نفس تفكير الكاتب انه اذا ما تجاوزنا عن هذه المتناقضات التي تفسخ الاسلوب الاستعماري فاننا لن نوجد هيكلًا عضويًا يستطيع الحياة الا اذا وجدنا ما يرتضي بان يكون معرضًا لخطر التفكك . تمامًا على شاكلة ما هو قائم وراء تحارب العناصر المعدنية ، لانه ما من منظمة عضوية وما من حياة لن تكونا مهددة بخطر الموت .

ان هذا الاتصال العضدي وان هذه الحياة ستراهما وسنشعر بها من الداخل ، واننا سنتفحصها من الداخل وذلك بان نعيشها .

وان هذا الدليل وان هذه التجربة قد وفرها لنا في غضون الحرب الاخيرة العالمية وقا. الاجزاء المختلفة من امبراطوريتنا ساعة لم تكن لدينا الوسائل للحفاظ على تماسكها بالقوة ، فلقدكانت شروط انجاح الاتحاد الفرنسي موجودة

وانها لا تزال دائماً موجودة ... ولكن في غير مفاهيم دستور سنة ١٩٤٦ الادارية ، واننا لنتمنى ان نتوى وباب الحظ مفتوح امامنا على ان نستفيد من فرصته ونأتي بالتجديد اذا ما شئنا على الاقل التجديد وذلك اذا كنا نفضل ان نجدّد على ان نهلك .

هنري شارل اليسوعي

RENÉE PIERRE-GOSSET. — *Mes hommes dans un bateau*. in-8°, de 354 pp. Editions René Julliard, Paris, 1955.

اجتذبتني الحياة في هذه القصة فقرأت منها ثلثها وخبرت صحة قول ذلك المهذار الذي اتهم فطيرته بزمتها « ان قصة هذه الفرصة الكبرى لتحمل على التفكير والضحك ، وانه لمن الصعب الابتعاد عن انجاز قراءتها » وبكل جهد لم يتح لي الانقطاع على قراءة هذا العمل من البطولة لافكر في تقديم موجز عنه ولانني الثناء كله على هذه التجربة البحرية وهذه الروح المرحة التي البسها رينه غوسه قصّته ، وانما لما كان لا بدّ لي من الانتقاد لم يكن بمقدوري الا ان اشير ان وجود ثلاثة اشراك من الحيلة في سطر قد يتعب احياناً القراء المعجلون — ليكون من المستحسن التخفيف عنه في قراءة كتاب موجز .

لقد ناهضت هذا الاغراء فوضعت جانباً الكتاب لانجز مطالعته قبل شروعي بتقديمي ملخصه ، ولما حانت الفرصة كان لدي المزيد من الاشغال ومع ذلك استأنفت قراءتي — أفهو الجدّ الملائم لمثل هذا الضرب من القراءة ؟ فلقد وجدت شوقاً يدفع بي الى الاشراك الثلاثة التي نصبها البحارة ، ولكنني لست رغوباً في قصة تأخذ حوادثها بعضها برقاب بعض .

فهل انت راغب في قطع المباحثة بشأن حمولة المركب مع رؤساء الدوائر الكازا الفرنسين او التحدث الى « السر » الموظف البريطاني في جبل طارق الذي تشوب لهجته الفرنسية اللكنة في حديثه او الوقوف على تجارب ماريانا الصغيرة الفتانة ...

ولكنه من المستحيل ان اقدم لكم موجزاً لكل ما تقعون عليه من رائع وفكه ومفيد في هذا الكتاب والا كان لا بدّ من نقله برمته ، فاقبلوا فوراً على شرائه ولا ترددوا عن مطالعته .. ولا سيما اذا كنتم ترددون على سواحل الشاطئ الازرق من طنجه الى كان ، ومن الاسف ان لا تكون

مرسيه قد تمكنت في الوصول حتى البحر المتوسط الشرقي .

هـ. شارل اليسوعي

كتاب مزاج التسنيم

تأليف ضياء الدين اسماعيل بن هبة الله

تحقيق ستروتمان

مزاج التسنيم من كتب الدعوة الاسماعيلية (فرع المستعلية السليمانية) الذي ظهر اخيرًا الى حيز الوجود ليسد الفراغ الكبير في المكتبة الاسماعيلية وليحمل بين دفتيه كل جديد عن هذه الفلسفة الى اوساط العلماء الاختصاصين والباحثين المهتمين .

مؤلف الكتاب الداعي الاسماعيلي السليماني المطلق «ضياء الدين اسماعيل بن هبة الله المتوفي سنة ١١٦٩ هـ بنجران – اليمن . ومحققه المستشرق الالماني الكبير البروفسور ر. ستروتمان (R. Strothman) من جامعة هامبورغ وقد حققه عن مخطوطة وجدت في مكتبة (الامبروزيانا) – ميلانو – ايطاليا تحت رقم (٧٦) ، ونشره بجزءين و ٣٧٦ صفحة المجمع العلمي - غويتنغن .

يبحث الكتاب في علم التأويل وتفسير بعض سور من القرآن وقد يظهر لكل متتبع ومتعمق بهذا العلم ان المؤلف كان على جانب عظيم من العلم والمعرفة ومن العلماء الكبار الذين ضربوا بسهم وافر في الفلسفة .

ونلاحظ ونحن نقرأ الكتاب ان المحقق قد بذل جهدًا عظيمًا واذى خدمة علمية كبرى وقد جاءت المقدمة على احسن ما يكون من التعريف الكافي والتفهم العميق لآراء الاسماعيلية الفلسفية في التأويل الباطني وتفسير القرآن . والحقيقة فان الكتاب يعطينا دليلًا قاطعًا عن انتشار الدعوة الاسماعيلية في اليمن ، وعن تخريجها عددًا كبيرًا من اعلام الفلسفة والعلم والادب والتاريخ ممن خلفوا للمكتبة الشرقية احسن الآثار العلمية وأقوم المؤلفات التي تعتبر من اثمن المصادر للمهتمين في الدراسات الاسلامية .

عارف تامر

كتاب الزينة

تأليف الداعي الاسماعيلي الاجل ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي المتوفي سنة ٣٢٢هـ

تحقيق الدكتور حسين همذاني

مطبعة الرسالة – القاهرة

هذا كتاب تبلغ عدد صفحاته الثلاثمائة بالحجم العادي ظهر منه لحد الآن الجزء الاول بمائة واثنتي عشرة صفحة . وضعه في علم المصطلحات الاسلامية واشتقاق الكلمات العربية ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي داعي الاسماعيلية في اقليم (الري) وما يتبعه في فارس ، وانها لاول مرة نرى داعياً اسماعيلياً يخرج عن نطاق اختصاصه الفلسفي فيتطرق لبحث موضوع يتعلّق في الناحية العلمية الكلامية الفلسفية ، وفي اشتقاق الكلمات العربية والدخيلة التي نطق بها القرآن والتي اصبحت من المصطلحات الاسلامية .

يعتبر كتاب (الزينة) من اقوم المصادر في الدلالة على الالفاظ العربية ، فمؤلفه من دعاة الاسماعيلية الاجلاء ومن اعلام النهضة العلمية الاسلامية في القرن الثالث للهجرة المحمدية ، واذا علمنا انه مناظر الفيلسوف الشهير «محمد بن زكريا الرازي» والمتغلب عليه في مسألة النبوة وامر الدين ، وانه صاحب المدرسة الفلسفية التي تخرج من صفوفها الدعاة الاجلاء : ابو يعقوب اسحاق السجستاني ، واحمد حميد الدين الكرماني ، ومحمد بن احمد النسفي (النخشبي) وغيرهم ممن خطوا في تاريخ الفلسفة احسن السطور وتركوا بعدهم اقوم المؤلفات .

حقق الكتاب ونشره الدكتور حسين همذاني مدرس الادب الفارسي في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة وهو من العلماء الاختصاصين بالدراسات الاسلامية . وكتب المقدمة الدكتور ابراهيم انيس عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة فجاءت مع كل اسف خالية من كل تعريف عن حياة الرازي، وعقيدته، ومؤلفاته ، والمدرسة التي ينتمي اليها ؟ وجاء الدكتور حسين همذاني بعده ليتمم هذا النقص ولكنه جامل وخشيَ ان يقول ان الرازي كان اسماعيلياً ، وانه خدم الدعوة الهادية ، وتجاهل ان يكون الرازي قد اهدى كتابه الزينة الى

الامام الفاطمي (القائم) بن الامام (محمد المهدي بالله) مؤسس الدولة الفاطمة في المغرب، مع اننا في عصر صان الحرية الفكرية، ومهما يكن من شيء. ففي الكتاب تظهر اثار الجهد بالتحقيق والتنسيق والغوص وراء الحقيقة، وهـذا مما يستحق عليه الدكتور همذاني تهاني المهتمين والمتبعين للدراسات الفلسفية الاسماعيلية، واخيرًا لا بد من القول بأني كنت اتمنى لو ان الدكتور همذاني اختار لكتابه غير مطبعة الرسالة لان الطباعة والورق لا يتناسبان مع قيمة الكتاب العلمية.

عارف تامر

Harvey ; P. Hall et Ann W. Noyes. — *Current Research on the Middle East 1955* - X - 196 pp. in 8º — The Middle East Institute, Washington, D.C. 1956.

اتحفنا معهد دراسة الشرق الاوسط في هذا الكتيب بذريعة ممتازة للعمل تسهّل تسهيلًا عظيماً الاتصالات بين الباحثين وتمكن احدهم من الاستفادة من اختبارات سواه وذلك حتى قبل الانتهاء من نشر اعمالهم، واننا لنعثر في هذا الكتيب على فهرس رائع للمؤلفات التي صدرت حديثاً في هذا الصدد.

وتشتمل المراجع على اسم المؤلف وعنوان اعماله واسم المؤسسة التي ينتسب اليها وعلى موجز قصير للمدى الذي يبتغي ان يحمله لابحاثه في هذا الباب.

والمراجع منسّقة بحسب المواد المتقسمة فروعها الى ما يلي: الجغرافية والتاريخ وعلم الآثار والسياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والحقوق والفلسفة والدين والفن واللغة والكتب التي تناولت الموضوع ... وثمة ثبت جغرافي وثبت للباحثين يمكن من ايجاد الامر الذي ترغب فيه.

وتعطينا مطالعة هذه الصفحات فكرة عن عظيم الاهمية التي للشرق الادنى عامة وللعالم الغربي الاسلامي خاصة وعن المجهود الذي تحقق حتى الآن لفهم هذا الشرق وتحليله ومتابعة تطوره ومساعدته.

ولا بدّ لنا من ان نشكر المؤلفين ومعهد الشرق الاوسط على هذا العمل ومن ان نتمنى ان تزيد مؤسسات الابحاث في تعريفها لمؤسسة الشرق الاوسط لتغدو بياناتها المقبلة مفهومة على قدر الامكان.

هـ شارل اليسوعي

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب

بقلم الدكتور اسد رستم

الجزء الاول ، ٣٥٥ صفحة قطع كبير ، بيروت ١٩٥٥ ، دار المكشوف

هو عمل جبار قام به المؤلف بوضعه تاريخ الامبراطورية البيزنطية وعلاقاتها بالاسلام ، نعم ان الموضوع ليس جديداً وانما بالاستطاعة دائماً ايجاد الجديد من المستندات التي تدعونا الى تصحيح بعض نظرات المؤرخين السابقين .

وهذا الجزء الاول الذي نشير اليه هنا يحاول التعرف الى العوامل التي ساعدت في تكوين الامبراطورية البيزنطية : كانحطاط رومة ونشأة دين قوي جديد في شبابه ومتحمس باتباعه ومن ثم التعرف الى الاستزادة من اتجاه الفكر والفن والعقلية الاجتماعية والحكومة اتجاهاً شرقياً بدون ان ينسى ان بروز رجال على المسرح قد اجتذبوا بقيمتهم ودرايتهم نحو الشرق وبيزنطية بخاصة كل انتباه العالم المتمدن وربما كل غيرته — وصفوة القول ان بيزنطية ستغدو مسرحاً لخصومات عدة عقائدية وعسكرية واجتماعية بيد ان الامر الذي زادها ضعفاً على ضعف كانت منافساتها الداخلية .

ولقد عرف المؤلف ان يجمع في كتابه مستندات بخط اصحابها انفسهم ، فقد عمد لما اراد الكلام على وجهة النظر الدينية الى النصوص ذاتها ألتي استمدت الفكرة المسيحية اصلها منها كما عرف لما اراد معالجة موضوعه من الوجهة الديبلوماسية والاجتماعية المؤلفين الجديرين بالثقة ، وكانت مراجعة كاملة مستوفاة وموثوقة جدّ الوثوق مما مكنه من رواية الامور كما هي وسردها ببساطة كبرى في فصوله بدون نقصان ومن اصدار احكامه الموضوعية في الامر الفلاني او القضية الفلانية كقضية الانشقاق وكقضية حرب الصور العقائدية بيد انه كان من المستحسن ان يعتصم بتحفظ اشدّ : عند كلامه مثلاً على البابا هونوريوس وعلى امر توحيد الارادة فقد اورد ان البابا قد ايد هذا التعليم (ص٢٤٧) على حين ان اللاهوتيين لم ينتهوا بعد من الكتابة لالقاء نور اعظم واشد تدقيقاً على هذا الامر ، ومما يعوض عن بعض احكامه المتسرعة تسرعاً خاطفاً تقصيه وصدقه في دراسته لجميع الظواهر الفكرية في تلك القرون قرون الازدهار العقلي ، فانه

قد درس بالتفصيل وبدقة كبرى جميع الشؤون سواء منها المتعلق باللاهوتيين أو الحقوقيين او المؤرخين او الجغرافيين ام بالشعر، وهناك ثبت عام يعطينا صورة صحيحة عن العهد الذي كان موضوع دراسته، واننا عما قريب نقول كلمتنا ايضاً في الجزء الثاني . ا. ع. خليفه اليسوعي .

Yves Bottineau. — *L'Espagne* - Gr. in - 8° de 280 pp. — ornées de 183 héliogravures et d'une carte mobile avec un index des noms propres sous une couverture en couleurs d'Yves Brayer — « Beaux Pays » — Arthaud, Grenoble. Paris, 1955.

المشاهد والمؤسسات والعادات التقليدية موفورة وفرة كبرى في اسبانية .. حتى لو اراد احد ان يحدثنا عنها لاضطرّ الى الاقتصار على احدى وجهات النظر فقط منها وان الكتاب الذي بين ايدينا هنا تزينه الصور والرسوم التي هي بجماصة من وضع يان ديوزايد (Yan Dieuzaide) وميشال اودريان (Michel Audrain) واحد طلاب الكازا فيلاسكايز (la Casa Velasquez) الداخلين الذي عرف ان يجمع بين غزارة العلوم وبين منزاها الانساني الكبير فلم يخرج الكتاب بما حف به من التوشية عن عادة المجموعات، ولقد جعلنا المؤلف نقوم برحلة كبرى في التاريخ والفن الاسبانيين من منطقة الى منطقة ومن مدينة الى مدينة، وفي اعتقادي انه من الواجب علينا اذا ما اردنا مطالعة الكتاب او القيام بالتنقل ان نأتي ذلك مرحلة مرحلة لكي لا يعترينا بعض السهو فيفوتنا استيعاب المغازي العلمية الواسعة التي تضنّ بها، وان جميع هذه الملامح وكل هذه المعاني الدقيقة لا غنى عنها في هذه الصورة التي لا يستطاع نسيانها . د. شارل اليسوعي

Claude Blanguernon. — *Hoggar* — Gr. in-8° de 108 pp. avec 1 carte, 8 croquis ou schémas et 56 héliogravures h.-t. — un index des noms tamacheq et arabes, un index des noms propres — Arthaud, Grenoble-Paris, 1955.

منذ سنة ١٩٣٧ والسيد كلود بلانكرنون يعيش في الجنوب الجزائري، ومنذ ثماني سنين انشأ مدرسة تامانراسة (Tamanrasset) وانشأ اول مدرسة للرحل تحت المضارب : وهو يتكلم بسهولة التوارج ولا ينقطع من الطواف في المضارب ليتحدث ودّياً الى الجميع، وانه يقوم باستقبال جميع العلماء الذين يفدون الى هذه المنطقة الغريبة ليدرسوا عن كثب اشكالها ويوجه اليهم اسئلته.

ولقد قال لنا بكل تواضع انه رغب في وضع دليل مفيد للجوّابة والسياح الذين اخذوا يؤمون بازدياد قاب الصحراء لزيارتها ، والواقع اننا لنعثر في هذا الدليل على بحث حقيقي مستوفٍ في خصائص شعب هوكار . اما هذه المستندات فهي حاصل مجموع كل ما نعرفه عن هذه المنطقة من ابحاث العلماء الذين درسوها ووضعوا عنها خير البيانات والايضاحات في تقاريرهم السنوية فتمكنوا شيئاً فشيئاً من جمع عناصر حقيقي : كالجغرافية والنبات والحيوان وعدد السكان والاقتصاد والحياة المادية والادبية والقصص والاساطير . . . وجميع هذه الامور تزينها صور ممتازة .

ويتمّ مجموعة هذه المعلومات عدد من الذيول وبصورة خاصة بيان باسماء مواقع المياه على طريق القوافل ، وفي هذا الكتاب بعض اخطاء مطبعية وقعت في مصطلحات اسماء النبات اللاتينية لا يجد رجال الاختصاص صعوبة لاصلاحها .

هـ. شارل اليسوعي

M.M. Moreno. — *Il Somalo della Somalia.* — Grammatica e testi del benadir, darod e dighil — Istituto Poligraphico dello Stato — Roma 1955, pp. VIII - 404.

ليست الدراسات بصدد اللغة الصومالية بالنذرة اليسيرة او قل بالاحرى بصدد اللغات الصومالية ، اما هذه الملحوظة التي قلّما لفتت الخاطر فقد نبه اليها الاستاذ مورينو في مقدمته حيث عرض بوضوحه المتاد لمحة عن وضع اللغات الصومالية في الوقت الحاضر وعن دراسة هذه اللغات فقال في بحثه لهجات هذه البلاد : ليس ثمة في اختلاط هذه اللهجات ثلاث مجموعات كبرى متميّزة جدّ التميز وانما هناك لهجة عمومية شاملة التي يفهما السكان المتكلمون بلهجات من اصل واحد وهي لهجة قيد التكوين لهذه المجموعات من اللغات المشتركة .

والمجموعات اللغوية الثلاث الرئيسية هي : الدارود (dârôd) والبنادير (benâdir) والديجهيل (dighil) ، ولقد عنى الاستاذ مورينو بالمجموعتين الاولين وبدون ان يهمل الثالثة . اما كتابه فيبتدئ بعرض المخارج الصوتية الصومالية المتميزة بدقائق الفوارق ، وهناك فصل على حدة خصه بالمهموس من النبرات ومجهوريتها وكلاهما لها شأن خاص في الصومال .

وكتاب الاستاذ مورينو وان اتخذ شكل كتاب للقواعد فانما هو كتاب اوسع من ذلك جداً، وهو وان اعطى ضروباً من القوالب الصرفية فانه يستنبط منها في الوقت نفسه تعبيراتها ، وينتقد انتقاداً محكماً المصنفات التي سبقت مصنفه ؛ فلقد وضع في الوقت ذاته كتاباً تربوياً وعلمياً واتبع كل بحث بسلسلة من النصوص المشوّقة غالباً والتي استقاها مباشرة من افواه السكان الاصليين الذين خالطهم واستمدّ معلوماته منهم . اما نصوصه فترجمة ومعلّق عليها .

ولا يليق بنا ان لا نقدر حق التقدير الاتقان في الطباعة اتقاناً زاد الكتاب رونقاً فضلاً عما له من الفائدة بحدّ ذاته . ا. ل. اليسوعي

Anne Philipe.— *Caravanes d'Asie.*— In 8° de 255 pp. avec 6 cartes et 24 pp. d'héliogravure. — Collection « La Croix du Sud ». — Julliard — Paris, 1955.

رغبت السيدة آن فيليب في ان تعيد اجتياز طريق الحرير فسافرت جوّاً من نانكين الى اورمشي مسافة ٣٠٠٠ كيلومتر بالطائرة ومن اورمشي الى كاشكار ١٥٠٠٠ كيلومتر في سيارة شحن ويجلس بجانبها بين رزم البضائع زوجها وشاب تبي يصحبها ومن كاشكار الى كشمير على جداد في صحارة القيظ ومع القافلة حتى بشاور فكانت المسافة التي قطعتها ٦٠٠٠ كيلومتر .

والسيدة آن فيليب اجتذبت اليها اشد القلوب حذراً ونفوراً ومهدت ما اعترضها من صعوبات بظرفها وكياستها فقد عقدت اواصر المودّة مع كل الصبية والصبايا المتوحشين المذعورين ومع ذويهم الذين كانوا اولاً شديدي الحذر او كادوا يكونون اعداء .

وما عرفت آن فيليب ان تبدي اعجابها بمشاهد الصحاري والجداول والجبال المظيمة فقط بل اظهرته بتلك النفوس الطيبة والقلوب الجذّابة التي جعلتنا نستشفها .

وكما قال كلود روا في مقدمته ان السفر يوضح السجيّة ومحاسنها الخفيّة واعمق فضائلها ، فهذه المذكرات المتناهية في البساطة تكشف لنا عن غضارة تبعث فينا شوقاً عظيماً لاتخاذها كرفيق رحلة لنجتاز معها اسية من بامير الى قلب البلاد التي حملتنا على ولوجها .

ه . شارل اليسوعي